

المكتبة الثقافية

١٠٣

النقود العربية

ماضيها وحاضرها

تأليف

الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد

وزارة
الثقافة والإرشاد
المؤسسية
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ فبراير ١٩٦٤

المكتبة الثقافية

١٠٣

النقود العربية

ماضيها وحاضرها

تأليف

الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ فبراير ١٩٦٤

توزيع



دار الفهم

١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة

ت : ٥٥٠٣٢ - ٧٧٧٤١

تقديم

المقدمة تاريخ النقود العربية من الناحية العلمية والفنية كثيرا من العلماء الذين كان لهم فضل الكشف عن حقائق كثيرة في هذا الميدان ويأتى في مقدمتهم «آدلى» و «كاستليونى» و «شتيكل» الذى أفرغ فى هذه المادة خلاصة أفكاره وعلمه وجاء من بعدهم المؤرخ الكبير لينبول Lane-Poole باتتاجه الضخم فى ميدان النقود والموازن العربية .

وبالرغم من وفرة الباحثين من المستشرقين إلا أن النقود العربية لم تلق عند الشرقيين من العناية بتاريخها غير ما كتبه أدباء كقدامة بن جعفر والقلقشندي أو رحالة كناصرى خسرو وابن بطوطة ، وحتى هؤلاء وهؤلاء يتناولون فى كتبهم موضوع النقود العربية فى نبذ عرضية أو فصول خاصة ، فيما عدا المقرئى

الذى خصص لها كتباً مستقلاً أسماه « شذور العقود
في ذكر النقود » ، ولكنهم جميعاً يشتركون في الاكتفاء
بالتعميم دون استيعاب الموضوع كما فعل المستشرقون
الذين كتبوا في نفس المادة بكثير من التخصص
الافاضة ، وإن كان لكتابنا العرب على كل حال ،
فضل السبق في تسجيل معلومات هامة عن النقود في
مؤلفاتهم استقى منها المستشرقون القدامى منهم
والمحدثون .

وموضوع هذا الكتاب « النقود العربية » وهو
لمحة سريعة في تاريخ النقود العربية منذ فجر الإسلام
حتى اليوم .

ولعلنى بهذا العرض السريع ألفت النظر الى أهمية
هذا النوع من الدراسة للفقهاء والمؤرخين والاقتصاديين
على السواء ، فالإقتصاد يدرس ذلك الدور الذى تلعبه
النقود فى مضمار النشاط البشرى ، ويكفى أن نعرف
أن الأساس الذى تلعبه النقود لم يتغير منذ اختراعها
حتى الآن ، حين لجأ الناس الى استعمالها وحده

للحساب ، ووسيطا للمبادلة ، وأداة لاختزان القوة
الشرائية ، وقاعدة للقيم المستقبلية . كما أن النقود
وثائق هامة يمكن الاعتماد عليها في استنباط الحقائق
التاريخية ، سواء ما يتعلق منها بالأسماء ، أو بالعبارات
الدينية المنقوشة ، فهي سجل للألقاب والنعوت ، التي
تلقى الضوء على كثير من الأحداث السياسية ، والتي
تثبت أو تنفي تبعية الولاة أو السلاطين والبلاد للخلافة
أو للحكومات المركزية في التاريخ الاسلامي ، ولذلك
تعتبر النقود العربية الوثائق الرسمية الصحيحة التي
لا يسهل الطعن في قيمتها . وهي فوق هذا كله تعتبر
مستندات الوحدة السياسية والاقتصادية في العالم
العربي ، منذ أن كانت دمشق وبغداد والقاهرة مركز
الاشعاع الاقتصادي ، ففي سوريا تم على يد الخليفة
الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) تأمين
دور السك وتعريب النقود التي تتداولها كافة الشعوب
الاسلامية ، فلم تعد نقود العرب تدور في فلك النقود
البيزنطية أو الفارسية أو ترتبط بأسعارها وأوزانها ،
كما حملت مصر والعراق مشعل الاصلاح النقدي الذي

أضاءته العاصمة الأموية دمشق فأسهمت القاهرة
وبغداد في ضرب النقود العربية ونشرها خلال العمليات
التجارية في الخليج العربي وحوض البحر المتوسط ،
بقدر ما أسهمت في إقامة دور جديدة للسك وتزويدها
بالفنيين فضلا عن المعادن النفيسة اللازمة .

وتهتم الشريعة الإسلامية بالنقود في ميدان العبادات
والمعاملات ، وذلك لاتصال النقود بالزكاة والصدقات ،
والعقود ، والوقف والعقوبات والدية وغيرها . وقد
حدث تغير كبير بالزيادة أو النقص في النقود العربية
المتداولة في مختلف العصور ، مما استدعى حلا لهذا
التغير عند تطبيق القواعد الفقهية المتعلقة بالشئون
المالية . والوقوف على التطور التاريخي للنقود
العربية ، وأوزانها ، وعيارها ، وقيمتها ، يساعد على
ايجاد هذه الحلول عند تعيين النصاب الشرعى بالنقود
المتداولة .

وتندرج دراسة النقود تحت علم
النميات La Numismatique ، وهو العلم الذى يبحث
في النقود ، والأوزان ، والأختام ، والأنواط ، وقد

بدأ هذا العلم فى نيل ما يستحقه من العناية منذ عهد قريب ، حين بدأ تدريسه فى جامعاتنا العربية وقد أسهمت وزارة الثقافة والارشاد القومى فى اللقاء الضوء على أهمية علم النميات العربية باقرار انشاء متحف خاص للنقود فى مصر بعد صدور القرار الوزارى رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٠ وعهد الى مصلحة الآثار اجراءات اخراج هذا المتحف الى حيز الوجود .
ويحسن قبل الاسترسال فى موضوع النقود أن نشرح بعض الألفاظ التى سوف يرد ذكرها فى ثنايا هذا الكتاب حتى نزيل عن القارىء بعض الغموض واللبس:

السكة :

يعبر لفظ « السكة » عن معان متعددة تدور كلها حول النقود التى تعاملت بها الشعوب العربية من دنائير ذهبية ودراهم فضية وفلوس نحاسية فيقصد به حينئذ تلك النقوش التى تزين بها هذه النقود على اختلاف أنواعها وأحيانا أخرى يعنى قوالب السك التى يختم بها على العملة المتداولة كما يطلق أيضا على الوظيفة

التي تقوم على سك العملة تحت اشراف الدولة . غير
أن المعنى الشائع هو اطلاق كلمة « السكة » على
النقود العربية التي تضرب في دور السك والتي أصبحت
وسيلة التعامل الرئيسية في العصور الوسطى بين مختلف
شعوب العالم ، تشهد بذلك تلك المجموعات من النقود
العربية التي عثر عليها في روسيا ، وبولندا ، وفنلندة
وألمانيا ، وقد عاش لفظ « السكة » في أوروبا غريبا
عن وطنه العربي وأمعن في الاغتراب حتى تبنته الفرنسية
باسم Sequin واشتقت منه الإيطالية لفظ Zecchino
الدينار :

أن لفظ « دينار » مشتق من اللفظ اليوناني
اللاتيني Denarius-Aureus ، وهو اسم وحدة من
وحدات السكة الذهبية عند العرب وقد عرف العرب
هذه العملة الرومانية وتعاملوا بها قبل الاسلام وبعد
وقد أشار إليها القرآن الكريم في سورة آل عمران
(آية ٧٥) :

(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك)

ولم يمس الاصلاح النقدي الأول الذى قام به الخليفة
الأموى عبد الملك بن مروان سنة ٧٤ هـ عيار هذه السكة
الذهبية وانما عمل على ضبط وزنها عن طريق صنع
زجاجية لا تستحيل الى زيادة أو نقصان ومن ثم أصبح
الوزن الشرعى للدينار الاسلامى منذ تعريبه هو
٢٥ رء جرام وأقدم الدنانير العربية تلك التى تحمل
صورة عبد الملك بن مروان وهى مؤرخة سنة ٧٤ هـ
وتمت دنانير أخرى مشابهة ضربت فى سنة ٧٦ هـ
وسنة ٧٧ هـ وفى هذه السنة الأخيرة تم تعريب الدينار
الاسلامى فاختلفت الصور من نقوشه وظهرت عليه
العبارات التى تشير الى شهادة التوحيد والرسالة
المحمدية وتاريخ الضرب . وقد ظلت مضاعفات الدينار
وكسوره مستعملة فى جميع البلاد الاسلامية منذ فجر
الاسلام ، بينما شاع فى صقلية فى عصر الفواطم ضرب
ارباع الدنانير ومنذ عهد السلطان المملوكى الأشرف
برسباى ٨٢٥ - ٨٤٢ هـ (١٤٢١ - ١٤٣٨ م) أطلق على
العملة الذهبية المضروبة فى مصر اسم « الأشرفى » وكان
عيار الدينار العربى وأجزائه مرتفعا غالبا (٢٣٣ قيراط)

حتى العصر العثماني على الأقل اذ كان يراعى أن يكون الذهب خالصا من الشوائب ما استطاعت العمليات الفنية الى ذلك سيلا .

الدرهم :

وهو وحدة من وحدات السكة الاسلامية الفضية وقد اشتق اسمه من الدراخمة اليونانية أما استعماله في المعاملات فقد استعاره العرب من الفرس اذ كانت الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامي تتعامل بالدرهم أي انها كانت تتبع قاعدة الفضة باعتبار الدرهم الفضة هو نقدها الرئيسي وقد حدد مرسوم اصلاح النقد العربي نسبة ثابتة بين وزن الدرهم والدينار هي ١٠ : ٧ أي أن الدرهم كان يمثل $\frac{7}{10}$ الدينار ومن ثم كان وزنه الشرعي ٢٩٧ جرام على أساس أن الوزن الشرعي للدينار ٤٢٥ جرام ولكن هذا الوزن خضع لتغيرات كبيرة خلال العصور التاريخية وكان للدرهم العربي مضاعفات كما كانت له أجزاء لتسهيل العمليات التجارية .

الفلس :

ان كلمة « فلس » لا تعنى بالضرورة عملة نحاسية بالرغم من أن استعمالها الشائع منذ فجر الاسلام هو في هذا الغرض الضيق ولفظ (الفلس) مشتق من اليونانية وقد استعار العرب تلك السكة عن البيزنطيين وكانت تسمى Follis غير أن العرب لم يتقيدوا بوزن هذا النوع من السكة البيزنطية اذ كان هذا الوزن عند الفتح العربى لسوريا ومصر في غاية الاضطراب ف ضربوا فلوسا عربية في بعلبك وحلب ، وحمص ، ودمشق ، وطبرية ، وفلسطين ، والاسكندرية ، واختلفت أوزانها وقيمها باختلاف الأقاليم التي ضربت فيها وان كانت النسبة الشرعية بين الفلوس والدرهم كانت معروفة وهى ١/٤٨ والأصل في ضرب هذا النوع من النقود النحاسية أن تكون عملة تساعد على اجراء العمليات التجارية البسيطة ولكن رغم ذلك اهتم العرب بنقوشها وأوزانها وصنعوا لضبط هذه الأوزان وتحديداتها صنجا زجاجية خاصة مقدرة بالقراريط والخراريب .

اختراع النقود

يعرف الانسان التعامل بالنقود وهو يعيش في الغابات ولكن بعد حياة الاستقرار ، واشتغاله بالزراعة ، وانخراطه في ملك الجماعة ، وجد الانسان نفسه مضطرا الى التفكير في الأخذ والعطاء ، وساعد على ذلك رغبته الفطرية في المبادلة ، وهي عنده تقويم وقبول يخرج المسألة من مجرد استلاب لحاجة الغير الى حيث تصير نفعا لا غنى عنه . ولكن كيف كان يجرى التعامل في أول عهد المجتمع به ؟ ان التعامل كان يتم في أول الأمر — وفي ظل اقتصاد بدائي — بين شخصين كل منهما في حاجة الى ما عند صاحبه ولم تكن الحاجة اذ ذاك تزيد عن اللحوم والجلود وغيرها من الرغبات المحدودة ويرى بعض المؤرخين أن المبادلة قامت في الجماعات البشرية على اختيار مادة أو أكثر ، تؤدي بين الناس

مهمة الوساطة في التبايع وكسب الأرزاق ، ففي الصين مثلاً استعمل المحار على أنه الوسيلة الرسمية للتبادل حتى القرن الرابع قبل الميلاد حين ظهرت في الصين النقود المعدنية ، كما لعب الثور دوراً هاماً في التبادل ببلاد اليونان ، وحسبه أن كانت له القيمة الكبرى في التقديرات كما للذهب الآن ، فيذكر هوميروس في الإلياذة ، أن بعض الأسلحة كانت تساوي تسعة ثيران وبعضها مائة ، كما قدرت الجارية بأربعة ثيران .

والخلاصة أن السلع النقدية كانت تفرضها ظروف خاصة ، في بلد معين ، فاختلفت هذه السلع من شعب لآخر فهي في بلد ما الأرز ، وفي آخر الشاي والجلود أو الخيول والعبيد ، ولا غضاضة في هذا ما دامت النقود كما يعرفها الاقتصادى الأمريكى « فرانسيس ووكر » هي وسيلة للمبادلة أيا كانت هذه الوسيلة التى ارتضاها القوم في معاملاتهم تحقيقاً لمنفعتهم ، غير أن الخسارة وضياع الثروة كانت تتحقق تماماً في حالة النقود القابلة للتلف كالمحاصيل أو الحيوانات ، كما واجه الناس صعوبة تجزئة هذه الأموال أحياناً لتحقيق رغبة المبادلة في

العمليات التجارية البسيطة ، وأصبح من الضروري — بعد ارتقاء الاقتصاد الاجتماعى — الاعتماد على سلعة تجمع بين المنفعة والبقاء على الحوادث ، وهذا فى ذاته أصل الفكرة التى أوحى الى الناس أن يتخذوا من المعادن وسيطا للمبادلات ، لأن المعادن معيار ثابت لا يتعرض للضياع كرأس مال ، ولا تحتاج المعادن الى نفقة فى حفظها ، فوق انها تتحمل عوادم الدهر ، وتمتاز بسهولة الحمل والنقل ، فضلا عن قابليتها للتجزئة الى أجزاء توافق مختلف الأغراض والاحتياجات ، وهكذا اتجهت الجماعات الى اعداد المعادن بأوزان معلومة مقدرة تحت مسئولية أصحابها الذين نقشوا عليها أسماءهم أو ميزوها بعلامات خاصة ، وتولت الدولة الاشراف على هذه العلامات فختمت القطعة بخاتم الدولة كى تصبح « نومسما » أى قانونية (من اليونانية Nomos أى القانونون) ليأمن الناس الغش والتزييف فى نقود الذهب والفضة ، وبذلك خطت الدولة الخطوة الأولى فى سبيل اختراع النقود وسكها ، وقد تولت الدولة هذا السك أول الأمر دون أجر ، ثم وجدت أنه من دواعى

تعزیز السلطان بل والكسب المادی أيضا أن تشتري
الدولة المعادن وتضربها لحسابها الخاص ، بوزن وعیار
معینین .

ويجمع علماء النميات أن الليديين بآسيا الصغرى
في عهد كرويسوس Croesus أو قارون الليدي
٥٦١ - ٥٤٦ ق.م ، هم أول من سك النقود المعدنية
من الذهب والفضة استنادا الى رأى هيرودوت ، وقد
انتشرت هذه السبائك النقدية من ليديا عن طريق المدن
الساحلية اليونانية في آسيا الصغرى الى بلاد اليونان
نفسها حيث تطورت هذه النقود الى أقصى درجات
التطور الفنى ، وانتشرت على أيدي التجار في جميع
أنحاء العالم ، وقد اتخذت كل دولة آلهة لها يرمز اليها
فنقشته على النقود ، وعلى هذا الأساس سارت سنة
الأشكال النقدية حتى العهد الاسلامي حين نقشت على
النقود العربية شهادة التوحيد (لا اله الا الله وحده
لا شريك له) .

التداول النقدي في مصر

ظلت مصر بعيدة عن التطور النقدي فترة طويلة فلم تضرب نقودا طوال العصر الفرعوني ، بل بقيت متمسكة بتقاليدها في المقايضات ومن آثار المقايضات بالمعادن بأشكالها المختلفة في هيئة حلقات من الذهب والفضة نجد رسوما بديعة تمثل وزن تلك الحلقات بالميزان في مقابر الأسرة ١٨ ويمكن اعتبار نقود الفرس التي ضربها الوالي Aryandos ، وسميت « أريانديكون » أول عهد المصريين بالنقود ومع ذلك لم يعترف بها الشعب ، وأخضعها القوم لعاداتهم فاعتبروها سبائك معدنية يجزئونها بالمقراض بعد اختبار ثقاء معدنها وتوزن بالميزان حسب مقايضاتهم . إلا أن المصريين قد ضربوا النقود اليونانية باسم الملك المصري « تاخوس » في عهد الأسرة ٣٠ وكان ضرب هذه النقود تحت ضغط

ظروف سياسية لعل أهمها دفع أجور الجند اليونان المرتزقة الذين استعانت بهم مصر في طرد الفرس ، وبذلك يمكن اعتبار هذه النقود أول نقود مصرية ضربت من الذهب والفضة ، ولكن مع ذلك ظلت المقايضة وتجزئة المعادن والنقود الأجنبية قائمة في مصر حتى ازداد الاحتكاك التجارى بين مصر وجاراتها من العالم الاسيوى الأوروبى فى عصر البطالمة ، فتأثر المصريون بالتطور النقدى فى هذه البلاد وخاصة بلاد اليونان فانتقلت مصر من مرحلة تداول المعادن النفيسة بالوزن الى مرحلة النقود ، وتزخر متاحف العالم بمجموعات قيمة من النقود البطلمية المصرية المصورة .

واذا نحن تتبعنا النظام النقدى المصرى منذ العصر الرومانى نجد انه كان لمصر وضع خاص بالنظر الى نقودها خلال القرون الثلاثة الأولى ، فلم تكن النقود الرومانية من الفضة أو البرونز هى النقود الوحيدة الجارية فى التعامل ، بل كانت حاجة السوق المصرية تزود بنقود قومية من ضرب الاسكندرية ، ولم يكن هناك اقليم رومانى آخر له هذا الوضع ، واذا تصادف ووجدت

النقود الفضية الرومانية فانها لا تلبث أن تختفى أمام
النقود القومية التي كانت تضرب على أساس التترادراخم
Tetradrachm (أربعة درخمات) من الفضة المخلوطة
ويتفق على تقييمها بالنسبة للنقود الذهبية لتحقيق
الأغراض التجارية .

ويظهر أن النقود المعدنية قد اختفت فترة من الزمن
في العصر البيزنطى اذ كانت أغلب العمليات المالية
تجرى في مصر بالمقايضة فلا يوجد أثر لأية نقود سكنت
في دار السك الامبراطورية بمصر بعد السنوات العشر
الأولى من القرن الخامس الميلادى ، بل حتى لا يوجد
شئ منها مستورد من الخارج غير قليل من الدنانير
الذهبية البيزنطية ، الى أن كانت بداية القرن ٦ م حين أعاد
الامبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ضرب
نقود مصرية بالاسكندرية وهى عبارة عن قطع مستديرة
تحمل الحرفين I, B. وهما حرفان يعنيان فى الأبجدية
اليونانية العدد ١٢ اشارة الى قيمة القطعة التى تقدر
بأثنى عشر نيميا Nummia ، وهى بذلك تمثل أدنى
أجزاء النقود المقدرة على أساس السوليدس الذهب

وقد استمرت هذه النقود قائمة حتى الفتح العربى لمصر
٢٠ هـ (٦٤١ م) .

ولكن هناك شك فيما اذا كانت الأنواع المختلفة
من النقود قد راجت فى كل البلاد المصرية اذ أن
العمليات التجارية الخارجية لم يشتغل بها أى اقليم
آخر فى مصر غير الاسكندرية اللهم الا بعض العمال من
الفلاحين الذين اشتغلوا بارسال القمح الى السفن التى
تحملة الى بيزنطة ، أما التعامل فى القرى فقد ظل على
أساس القمح فهو الذى كان يمثل هناك العملة المصرية
الرئيسية .

والخلاصة انه قامت فى العصر البيزنطى محاولات
لتوحيد قيم النقود المعدنية فى مصر على أساس الذهب
وكانت الوحدة المقصودة بذلك هى السوليدس Solidus
أى الدينار البيزنطى أو النومزما Nomisma كما تعارف
عليه فى مصر وقدر بأربعة وعشرين قيراطا كما قدرت
أجزاؤه من النصف Semis ، والثلاث Tremis
والربع quadrans على هذا الأساس .

وقد أشير الى كل هذه الأجزاء الذهبية في أوراق
البردى التى ترجع الى القرن السابع الميلادى وظلت
قاعدة الذهب Gold Standard أساسا للنظام
النقدى فى مصر حتى بعد نهاية السيادة البيزنطية .

وتدل قطع الفخار المكتوبة Ostraca التى عثر
عليها فى مصر على أن المعاملات بين الأهالى عند الفتح
الاسلامى كان أساسها النقود الذهبية المعروفة بالدينار
وأجزاء الدينار وقد دفع هذا الوضع النقدى بعض
المؤرخين العرب الى الظن بأن نقود مصر هى الذهب
فقط فيذكر المقرئى مثلاً أن « مصر من بين الأمصار
فما برح نقدها المنسوب اليه قيم الأعمال وأثمان المبيعات
ذهبا فى سائر دولها جاهلية (قبل الفتح الاسلامى)
واسلاما » ويذكر فى موضع آخر « من أمعن النظر فى
أخبار مصر عرف أن نقدها لم يكن الا من الذهب
فقط » .

والحقيقة ان قاعدة النقد Etalon Monétaire
فى مصر قبل الفتح العربى وبعده هى الذهب أى ان مصر

كانت تسير على نظام المعدن الفردي Monometallisme ولكن هذا النظام لم يمنع استعمال نقود أخرى مساعدة من الفضة والبرونز وإن كان الذهب وحده هو العملة القانونية التي كان لها قوة إبراء غير محدودة ، والسبب في ذلك هو كثرة كمية الذهب قبل الفتح العربى حتى أصبح من الممكن أن يؤدي وحده مهمة النقود الرئيسية القانونية منذ أن غمرت الدنانير البيزنطية الأسواق المصرية كنتيجة لدفع أثمان البردى الذى كانت عاصمة الدولة البيزنطية تستهلك جزءا كبيرا منه .

فجر النقود العربية

يكن للعرب قبل الاسلام نقود خاصة بهم فكانت المعاملات التجارية تجلب من الخارج بكل النقود المتداولة في شبه الجزيرة العربية ، ونحن نعرف أن القرشيين كانت لهم رحلتان تجاريتان رئيسيتان أشار اليهما القرآن الكريم (سورة قریش آية رقم ٢) رحلة صيفية الى سوريا وأخرى شتوية الى اليمن فكانوا يحصلون من معاملاتهم مع سوريا على ربح طائل يصل الى ١٠٠ ٪ بل انهم كانوا يحصلون أحيانا من قافلة تجارية واحدة الى الشام على خمسين ألف دينار من الذهب ، ومن اليمن كانت تأتي الى الحجاز نقود حميرية وأن تكن بأعداد قليلة كما كانت ترد الى شبه الجزيرة العربية قطع كثيرة من العملات الفضية من الأقاليم الشرقية وخاصة ايران والعراق .

وهكذا كانت العمليات التجارية تجلب الى بلاد العرب كمية النقود المتداولة بينهم سواء النقود الذهبية التي تأتي من سوريا وهي دنانير الأباطرة البيزنطيين أو النقود الفضية وهي دراهم الفرس الساسانيين .

وصفوة القول أن العرب قبل الاسلام قد عرفوا الدراهم الساسانية والدنانير البيزنطية وقد ذكرها في أخبارهم وأشعارهم ويذكر البلاذري أن العرب كانوا يتبايعون بالدنانير على أنها « تبر » ويطلقون عليها « العين » كما يطلقون على الدراهم الفضية كلمة « الورق » فلما جاء الاسلام أقر الرسول صلى الله عليه وسلم النقود على ما كانت عليه وتعامل الرسول نفسه بهذه النقود فزوجه عليا كرم الله وجهه ابنته فاطمة على ٤٨٠ درهما وكذلك فرض الرسول زكاة الأموال بهذه النقود السائدة فجعل في كل خمس أوقيات من الفضة خمسة دراهم كما جعل في كل عشرين دينارا نصف دينار ، وقد أشار ابن سلام « في كتابه الأموال » الى كثير من هذه المعاملات الاسلامية .

وقبل أن نتحدث عن تعريب النقود واصلاحها على
يدى عبد الملك بن مروان خليفة الأمويين في دمشق
ستتناول التعريف بالدرهم الساسانية والدنانير والفلوس
البيزنطية قبل هذا الاصلاح .

أما الدرهم الساسانى فى فجر الاسلام فكان عبارة
عن قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش
يمثل الجزء العلوى من صورة كسرى الفرس ويظهر
وجهه فى وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساسانى
المجنح وعلى الوجه الثانى للدرهم حارسان مدججان
بالسلاح أو واقفان بدونه فيمكن اعتبارهما كاهنين
بينهما معبد النار الذى يسهران على خدمته أو حراسته،
وتشير الكتابات الپهلوية المنقوشة على الدراهم الى
اسم الملك كما تشتمل أحيانا على عبارات دعائية له
ولأسرته ، وفى الهامش الخارجى للدرهم توجد ثلاثة
أو أربعة أهلة وفى داخل كل هلال نجمة اشارة الى
الكوكب « الزهرة » عند تقابله مع القمر وهو رمز
للرخاء عند الشرقيين .

ولما أقرّ الرسول (ص) هذا النوع من النقود عمل الخليفة أبو بكر بسنته في تبني النقود الجارية بين المسلمين ولم يغير منها شيئاً ، ولما استخلف عمر ابن الخطاب وفتح الله على المسلمين بلاد الفرس أقرّ النقود الساسانية في إيران والعراق كما هي بلغتها وحروفها الپهلوية وكذلك بشاراتها وشعائرها غير الإسلامية ، وحافظ على أسماء دور السك وتاريخ الضرب باللغة الپهلوية كذلك . وقد أورد لنا الأستاذ مورتمان Mordtmann ما يقرب من مائة اسم لدور السك الساسانية وردت على النقود التي ضربها العرب على الطراز الساساني ويذكر المقرئ أن عمر بن الخطاب في سنة ١٨ هـ ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها وأعيانها (صورها) ولكنه زاد عليها عبارة « الحمد لله » وفي بعضها « محمد رسول الله » وفي البعض الآخر « لا اله الا الله وحده » ولما بويع عثمان ضرب في خلافته دراهم ونقش عليها عبارة التكبير « الله أكبر » . ونصل من هذا كله الى أن

النقود الساسانية في ايران والعراق كانت تسجل كتاباتها بحروف يهلوية على الدراهم الفضة وعندما ضرب العرب الدراهم على نَسَقِها أضافوا اليها حروفا عربية وسنرى في النهاية بعد أكثر من نصف قرن منذ اقرار عمر لهذا الوضع ، أن الحجاج بن يوسف يكتب اسمه بالعربية على الدراهم وسنرى كذلك أن الدرهم العربي على الطراز الساساني سيختفى أمام اصلاح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان للنقود فيصبح درهما عربيا اسلاميا .

هذا عن الدراهم الفضة في فجر الاسلام التي كانت سائدة في ايران والعراق ، أما في سوريا التي وضع العرب أيديهم عليها اثر موقعة اليرموك وهي الموقعة التي قررت مصير الولايات البيزنطية في الشام فيظهر أن الشعوب التي أخضعها المسلمون هناك كانت تمتص العرب الغالبين ليس فقط في ميدان الادارة ونظم الحكم بل أيضا في ميدان النقود ، ويظهر ذلك واضحا منذ أن قبل عمر بن الخطاب في سوريا نموذج النقود الامبراطورية البيزنطية دون معارضة عندما ضرب نقوده . فاقطع

البرونزية من الفلوس التي بين أيدينا كميات كبيرة منها دليل قاطع على ذلك اذ نجد على أحد وجهي القطعة صورة هرقل الامبراطور البيزنطي واقفا وتحيط به الشارات المسيحية وهي الصليب الذي يعلو التاج والصليب فوق عصا المطرانية بيده اليمنى والكرة التي يعلوها صليب محمولة باليد اليسرى وعلى الوجه الثاني نجد الرمز النقدي حرف M الذي يشير الى الرقم ٤٠ في الأبجدية اليونانية بمعنى أن القطعة تساوي أربعين نيميا Nummia وفوق هذا الحرف نجد الصليب كما نرى التاريخ الهجري سنة ١٧ هـ مكتوباً باليونانية. وتحمل أقدم هذه النقود اسم دار الضرب « دمشق » باليونانية .

وتدلنا الفلوس التي تلت هذا الطراز البيزنطي المحض على أن النقود العربية أخذت تزداد استقلالاً شيئاً فشيئاً كلما فرض العرب سلطانهم على الولايات البيزنطية ، وثمة خطوة تالية حدثت في تطور النقود العربية في سوريا بوجه خاص هي ظهور الكتابات

العربية الى جانب الكتابات اليونانية فنجد مثلا «دمشق»
تكتب باليونانية والعربية معا وكذلك الحال بالنسبة
«لحمص» و «طبرية» وأخذت تظهر على القطعة
بعض العبارات التي تشير الى الوزن الشرعى الصحيح
لها مثل لفظ (طيب) أو (جائز) أو (واف) وأهم
المدن التي أنتجت هذا النوع من النقود العربية
البيزنطية «دمشق» و «حمص» و «بعلبك»
و «قنسرين» و «طبرية» و «ايليا» (فلسطين).
ولكن مع ذلك ظلت صورة هرقل أمبراطور الدولة
البيزنطية تظهر على النقود العربية أو تظهر صورة هرقل
ومعه صورة ابنه «هرقليوناس» و «قسطنطين» غير أن
الكتابة العربية على كل حال أخذت تميل الى احتلال
مكان أكبر بمرور الزمن على الفلوس البرونزية فظهرت
البسملة (بسم الله) وتبعها بعد قليل شهادة الوجدانية
والرسالة المحمدية (لا اله الا الله محمد رسول الله).
أما الدنانير البيزنطية التي تعامل بها العرب في فخر
الاسلام فقد خضعت هي أيضا في سوريا لتطور تدريجى

فبدأت الشارات المسيحية تختفى من فوق تيجان
الأباطرة وكذلك من فوق عصا المطرانية ، وتظهر الكتابات
العربية وصورة الخلفاء الى أن أصبحت هذه الدنانير
عربية تماما في عهد عبد الملك بن مروان ويخبرنا
المقرئ أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠هـ)
ضرب دنانير اسلامية عليها صورته متقلدا سيفه واذا
كانت دراهم معاوية قد وصلت اليها وبعضها محفوظ
في المتحف البريطانى بلندن فان دنانيره التى يشير اليها
المقرئ لم يصلنا منها شئ ، غير ان عدم وصولها
لا يتخذ دليلا على الشك فى صحة هذه الأقوال لأنه ربما
يكون السبب فى اختفائها هو امتصاص هذا النوع من
النقود لصهره خلال عمليات التعريب وسنرى ان
الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بأن تسحب من التداول
جميع الدنانير المضروبة قبله عن طريق بيت المال ليعاد
سكها على الطراز العربى الجديد الذى قرره .

وقبل أن تناقش طراز النقود العربية الجديد يجب
أن نشير الى حقيقة هامة تفرض نفسها وهى أن نقود

الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامى فى ايران والعراق
اقتصرت على الدراهم الفضية بينما اختصت الأقاليم
البيزنطية فى سوريا ومصر والمغرب على النقود الذهبية .
فهل من أسباب يمكن أن نرد إليها هذه الحقيقة التى
استقرت فى الولايات والممالك التى استولى عليها العرب ؟
يحاول بعض الباحثين ومن بينهم ميشيل
دى بور M. De Bouer ارجاع التعامل بالدراهم فحسب
فى الأقاليم الشرقية من ممتلكات العرب فى فجر الاسلام
الى افتقار الفرس للذهب فى القرن السابع الميلادى
نتيجة الحروب التى شنها الأكاسرة على البيزنطيين
رغبة منهم فى التوسع نحو سوريا وغيرها من الولايات
البيزنطية ونتيجة للهزيمة التى حلت بالفرس على يد
هرقل وما تبع ذلك من فوضى تفوق حد الوصف حتى
ارتفعت نفقات الحروب والجزية الحربية ، ثم ان الفرس
كانوا يجلبون الذهب اللازم لهم من تجارة الترانسيت
الخاصة بالأقمشة الحريرية الواردة من الصين والصادرة
الى بزنطة وكانت هذه التجارة رمزا للحياة المترفة فى
العمليات التجارية فى ذلك الوقت ، غير ان بزنطة نجحت

منذ القرن السادس فى ادخال دودة القز الى امبراطوريتها
واستطاعت فى أوائل القرن السابع التخلص من التجار
الفرس وأصبحت هى بدورها مصدرة للحرير ، وبذلك
فقد الفرس أهم مصدر لثروتهم الذهبية .

ولا شك فى أن هذا التحول الكبير فى مجرى التجارة
الهامة والرئيسية قد أفقد بلاد الفرس مكائنها الممتازة
التي كانت تحتلها فى الميدان الاقتصادى بقدر ما أفقدها
نصيبها من الدنانير البيزنطية الذهبية وهى التى تشكل
أهم مورد لرصيداها من الذهب غير أننا لانستطيع
قبول هذا التفسير كتعليل لامتناع الفرس عن ضرب
نقود ذهبية كما امتنعت بيزنطة عن ضرب نقود فضية
والحقيقة المفسرة لهذه الوقائع المالية هى تلك المعاهدة
التي عقدها البيزنطيون مع الدولة الساسانية بشأن
النقود وهى تقضى بأن يضرب الساسانيون نقودا من
الفضة فقط وألا يتخذوا نقودا ذهبية سوى النقود
البيزنطية الجارية فى التعامل ولهذا كانت نقود بلاد
الفرس عند الفتح العربى هى الدراهم الفضية بينما

شاعت النقود الذهبية في بلاد الاسلام التي كانت تحت حكم البيزنطيين .

هذه هي الأسس المالية التي تفسر لنا سيادة النقود الذهبية دون الفضية في سوريا ومصر عند الفتح العربي ، وهو أمر قد قبله العرب دون البحث في أسبابه وكذلك دون محاولة تغييره أول الأمر ، ولم يكن ذلك قصورا من العرب عن فهم المجال الاقتصادي بل رغبة منهم في المحافظة على الاستقرار المالي الذي لا بد منه لضمان الجزية لبيت المال ، فضلا عن كونه استجابة لحاجات شعب مزدوج من الغالبيين والمغلوبين .

إصلاح عُبد الملك للنقود

مختصنا المراجع التاريخية عن محاولات مبكرة لإصلاح النقود العربية وتعريبها تلك المحاولات التي بدأت على يد عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ حين ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها والفلوس البرونزية على الطراز البيزنطى ، وكذلك محاولات معاوية بن أبى سفيان الذى ضرب الدراهم والفلوس التي وصل إلينا بعضها وعليه اسمه أوصورته وقد أشار المقرئى الى دنانير الخليفة الأموى معاوية (٤١ - ٦٠ هـ) ذات الصورة وهى أول دنانير اسلامية ضربت على طراز الدنانير البيزنطية التي تحمل صورة الأباطرة البيزنطيين ولكن للأسف لم نعر على قطعة واحدة من هذه الدنانير حتى اليوم ومهما قيل بشأن محاولات معاوية وعمر فى توحيد النقود العربية فانها

لم تكن محاولات خلق وابتكار بقدر ما كانت عمليات تقليد للنقود البيزنطية أو الساسانية .

وبعد معاوية بن أبي سفيان تولى الخلافة - في خلال خمس سنوات - ثلاثة من الخلفاء الأمويين لم تكن لهم محاولات بارزة في ميدان النقود الإسلامية الى أن تولى الخلافة عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٦٦ هـ (٦٨٥ - ٧٠٥ م) الذي استطاع أن يحطم الحركات المناهضة لسلطانه فقتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ هـ وأخاه عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ وبذلك خضع الشرق العربي لخليفة أموى واحد ، وفي عام ٧٧ هـ كانت السلطة قد تركزت كاملة في يد عبد الملك وصارت مصر مع العالم العربى تمثل أمة واحدة ، أذكر ذلك لأوضح أن عصر عبد الملك قد شهد ظاهرة جديدة تتلخص في توحيد الأمة الإسلامية وصبغ الدولة بصبغة قومية عربية في جميع الميادين الادارية والمالية فضربت على يدى عبد الملك أول نقود عربية كضرورة من ضرورات الاستقرار الاقتصادى والسياسى ولا يختلف المؤرخون

العرب في نسبة الطراز العربي للنقود الى عبد الملك ابن مروان بقدر اختلافهم في الدافع الذي أدى به آخر الأمر الى ترك التعامل بالنقود البيزنطية ، ويمكن الوقوف على هذا الدافع من وجهة النظر العربية من تلك النصوص التي ذكرها البيهقي في «المحاسن والمساوي» والدميري «في حياة الحيوان» والبلاذري في «فتوح البلدان» والمقريزي في «شذور العقود» وأبو المحاسن في «النجوم الزاهرة» وهي نصوص تتلخص في أن السبب في ضرب النقود العربية هو أن أوراق البردي التي تصدر من مصر الى بزنطة كانت تسجل عليها عقيدة الايمان المسيحية (باسم الأب والابن وروح القدس) تلك العقيدة التي أشار اليها انجيل متى اصحاح ٢٨ فكتب عبد الملك بن مروان الى عامله في مصر عبد العزيز بن مروان بإبطال هذا الطراز من الكتابة على البردي وأمره أن يكون طرازها شهادة التوحيد (شهد الله أنه لا اله الا هو) ولما وصلت أوراق البردي الاسلامية الى أمبراطور الروم المعاصر جستنيان الثاني احتج على عبد الملك وهدده بأنه ان لم

يُعد كتابة العقيدة المسيحية على البردي المصرى
فسيضطر الى نقش الدنانير البيزنطية التى ترد الى
الشرق العربى بعبارات تسمى الى الرسول صلى الله عليه
وسلم ، وغضب عبد الملك من هذا التهديد فأشار عليه
أهل الرأى من المسلمين بضرب نقود عربية عليها شهادة
التوحيد والرسالة المحمدية وصب صنج من زجاج
لاستحيل الى زيادة أو نقصان لتعير عليها هذه النقود
وتضبط أوزانها ، فعمل عبد الملك بهذه المشورة وضرب
النقود العربية كأبلغ رد على تحدى الامبراطور
البيزنطى .

غير أن هذه القصة بقدر ما تعطينا فكرة واضحة
عن تفسير بعض المؤرخين لأخطر الحوادث التاريخية
والاقتصادية ، فهى لا تمدنا بغير مساعدة ضئيلة فى تفسير
ذلك الاصلاح النقدى الذى قام به عبد الملك والأسباب
التي دفعته الى سك نقود عربية خالية من الشارات
المسيحية .

والصحيح فى هذه القضية أن نزاعا قد قام بين
عبد الملك والدولة البيزنطية ولكنه لم يكن بسبب

أوراق البردى وما تحمله من ألفاظ مسيحية أو عبارات اسلامية فنحن نعرف أن تغيير عبارات العقيدة المسيحية على البردى بعبارات التوحيد على يدى عبد الملك كان أمرا طبيعيا يتفق والوضع الجديد الذى رغبه الخليفة العربى للدولة الاسلامية ، وهو صبغها بالصبغة القومية العربية بعد فترة من الانتقال استغرقت أكثر من سبعين عاما ، ولم يكن ذلك التغيير من التثليث الى التوحيد مثار نزاع بين عبد الملك وأباطرة البيزنطيين بأى حال ، اذ أن عبارات التوحيد واسم الرسول قد ظهرت على أعداد كثيرة من النقود الاسلامية قبل عهد عبد الملك ولم يكن لظهور مثل هذه العبارات أى ردّ فعل فى الدولة البيزنطية التى كان لرعاياها معاملات كثيرة مع الدولة العربية فيتبادل القوم خلالها النقود الاسلامية المضروبة على الطراز البيزنطى ، والنقود البيزنطية على السواء . ومادام ذلك كذلك فلا بد من البحث عن الأسباب الحقيقية للنزاع الذى قام بين عبد الملك بن مروان وأمباطور الدولة البيزنطية المعاصر جستنيان الثانى

للكشف عن حقائق الثورة الاصلاحية التى قام بها عبد الملك فى الميدان الاقتصادى .

والواقع أن هذا النزاع يتلخص فى أن معاهدة بين الدولة العربية والدولة البيزنطية قد تم توقيعها سنة ٦٧٥هـ لمدة عشر سنوات تقضى بمهادنة الدولة البيزنطية للعرب على حدود الدولة الاسلامية نظير دفع عبد الملك لأتاوة سنوية قدرها ألف دينار من الذهب ، فبأى نوع من النقود كان يدفع هذا القدر ؟

ان عبد الملك بن مروان منذ اعتلائه العرش وجد النقود الاسلامية من الفلوس تضرب بصورة الامبراطور البيزنطى وعليها الشارات المسيحية مع بعض الكتابات العربية .

وقد اقتضت حكمة العرب الادارية الاستجابة لشعور شعوبهم والاكتفاء بهذا القدر من التطور . وقد سار عبد الملك أول الأمر فى هذا الطريق ف ضرب الدنانير الذهبية على طراز النقود النحاسية البيزنطية لهرقل

وابنيه هرقلوناس وقسطنطين مما كان يضرب في دار
السك بالاسكندرية وعليها الحرفان B و I وان كان
عبد الملك قد بدّل وضعهما وجعل كلا منهما محل الآخر
فأصبح حرف B على اليسار وحرف I على اليمين
أما الصلبان التي كانت تفصل بين هذين الحرفين
أو تعلو رؤوس العائلة الامبراطورية المتوجة أو تعلو
عمى المطرانية فقد حورها كلها عبد الملك تحويرا خفيفا
بأن حذف أعلى الصليب فظهر وكأنه حرف I ثم زاد في
التحوير خطوة فحول الشارات المسيحية الى كرات
مستديرة وأحاطها بعبارات التوحيد مسجلة بالخط
الكوفي مع الابقاء على صورة هرقل وولديه لذلك لم
يعترض جستنيان الثاني على هذا الطراز من النقود
الاسلامية ذات التأثيرات البيزنطية سيما وانه طراز
مألوف الى حد كبير في الفلوس النحاسية قبل عهد
عبد الملك .

وما لبث عبد الملك أن عمل على تطوير هذه النقود
الاسلامية خطوة جديدة في سبيل استقلالها عن

التأثيرات البيزنطية فاستبدل صورة هرقل وولديه بصورته هو مع الإبقاء على بعض التأثيرات المسيحية كالعمود القائم على المدرجات الأربعة الذي كان يحمل الصليب أصلاً وأصبح على وجه الدينار صورة الخليفة عبد الملك وعلى ظهره كتابة هامشية نصها (بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ست وسبعين) أو سبع وسبعين .

ومما يلفت النظر في هذا النوع من الدنانير الإسلامية هو ما اجترأ عليه عبد الملك من نقش صورته على أحد وجهي دنانيره ، فقد كان هذا العمل في ذاته كما يذكر المقرئ مثار اعتراض من بعض الصحابة الذين وصلت إلى أيديهم بالمدينة بعض هذه الدنانير « فلم ينكروا منها سوى نقشها فان فيها صورة » .

ولن نتعرض هنا لمناقشة تفصيلية عن كراهية الإسلام أو تحريمه للصور والتماثيل وكل ما يمكن إضافته هو أن كراهية الإسلام للنقود المصورة لم يكن لها وجود حتى في أشد الفترات حماسة للدين الإسلامي

منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد تعامل النبي نفسه بالدراهم والدنانير المصورة كما أن كراهية الاسلام للصور لم يكن أكثر من مجرد رأى خاص اعتنقه بعض العلماء وشرح الشريعة الاسلامية على أنه قانون ملزم ، ولكنه مع ذلك لم يلتزم به المسلمون جميعا حتى الخلفاء منهم . أما صورة عبد الملك على دنانيره فهي من الوجهة الفنية تعتبر تقليداً لصورة الامبراطور البيزنطى هرقل وان كان الفنان العربى الذى صور دنانير عبد الملك قد لجأ الى التجريد فحذف كثيرا من التفاصيل المسيحية واستبدل عصى المطرانية المصلبة بالسيف فى يد عبد الملك كعلامة للإمامة عند المسلمين ولكن يكفى الإشارة الى التشابه الواضح — فى حدود امكانيات فنية محدودة طبعاً — بين ذقن الخليفة الأموى وذقن الامبراطور البيزنطى وبين طيات الملابس فى كل من الصورتين .

والمهم أن ظهور هذه النقود الاسلامية المزينة بصورة عبد الملك هى سر النزاع الحاد الذى قام بين

الامبراطور البيزنطى وبين الخليفة الأموى ، اذ أن ضرب نقود ذهبية بصورة حاكم آخر غير امبراطور الدولة البيزنطية لم يجرؤ عليه أحد من الخلفاء قبل عبد الملك وقد كان جستنيان الثانى يدافع عن هذا الحق كقاعدة عامة يجب احترامها من حيث المبدأ ولذلك عارض عبد الملك فى الوقت الذى ظهر فيه هذا الطراز من النقود العربية الجريئة بل فسخ المعاهدة المبرمة بين البيزنطيين والعرب لأن الأتاوة العربية السنوية لم تدفع بنقود مصورة بصورة الامبراطور البيزنطى ولكنها قدمت بنقود عربية بصورة خليفة عربى ، وعبثا حاول عبد الملك أن يقنع الدولة البيزنطية بقبول نقوده الجديدة المصورة مادام وزن الذهب هو المعول عليه .

وعلى أية حال فإن النقود العربية التى تزيينا صورة عبد الملك كانت خطوة ثورية فى سبيل الاصلاح النقدى لأنها كانت فى حقيقتها ثورة على نظام النقد البيزنطى العالمى الذى أشاد به « نورمان باينز » Norman Baynes حين ذكر « أن هذا الاستقرار

العجيب في السياسة المالية الرومانية قد ضمن للبيزنطى عملته العالمية التى كانت مقبولة عند جميع الأمم المجاورة بسبب وزنها المضبوط كأساس ثابت للتعامل واستطاعت بيزنطة أن تسيطر بنقودها هى كلا العالمين المتحضر والبربرى .

وقد استغرقت هذه الثورة الاصلاحية أربع سنوات منذ سنة ٧٣ هـ وهو تاريخ فسخ المعاهدة البيزنطية العربية وتمت أهدافها بتعريب النقود تماما سنة ٧٧ هـ حين احتلت الكتابات العربية وجهى الدينار العربى واختفت الدنانير المصورة وأصبحنا نقرأ فى هامش الوجه عبارة تشير الى الرسالة المحمدية نصها (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وفى المركز شهادة التوحيد ونصها (لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الثانى فى الهامش كتابة تشير الى تاريخ الضرب (بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وسبعين) وفى المركز ثلاثة أسطر هى النص القرآنى من سورة الاخلاص (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد) .

وهكذا نجح عبد الملك في تعريب النقود الاسلامية
تعريبا كاملا غير أن أسباب هذا التعريب لم تكن أسبابا
ثانوية كالتى أشار اليها البيهقى والدميرى وغيرهما من
المؤرخين بل هى أسباب ودوافع سياسية عليا ونظم
اقتصادية تتلخص فى رغبة عبد الملك فى إعادة حق ضرب
النقود الى الخلافة فى شخص الخليفة بعد أن ساهم فى
حق ضرب النقود كثير من الولاة والعمال الشائرين
منذ أن قامت الحروب الأهلية فى أعقاب مقتل عثمان
سنة ٢٣ هـ فكان لابد أن يقضى عبد الملك على كل هذه
الحقوق المغتصبة التى لم يعد لها مكان اثر تحطيم
حركات المقاومة العسكرية وبداية الاستقرار السياسى .
ويرتبط بهذا الاستقرار السياسى من ناحية قومية
أخرى هى صبغ الدولة الاسلامية بصبغة عربية فى ظل
سياسة رسمها عبد الملك بمهارة ، وقام على تنفيذها
فى جميع الميادين الادارية فى مختلف الولايات الاسلامية
حين أمر بتعريب الدواوين فى فارس والشام ومصر فكان
لابد لاتمام هذه السياسة القومية العربية من الاتجاه
الى النقود وتعريبها وتخليصها من السيطرة البيزنطية

أو غيرها فسار عبد الملك في ذلك بخطوات تدريجية مقدراً خطورة الميدان الاقتصادي من أن تحل به هزة عنيفة على اثر اصلاح مفاجيء .

وبتعريب النقود الاسلامية سنة ٧٧ هـ بدأ عهد من الاستقرار المالى للدولة العربية فلم تعد نقود العرب تدور في فلك الدنانير البيزنطية أو غيرها أو ترتبط بأوزانها وأسعارها .

ولكن الجدير بالذكر أن النقود الذهبية بعد التعريب لم يسمح الخليفة الأموي بضربها في غير مصر وسوريا فأنحصر انتاج الدنانير العربية في دار السك بدمشق والقسطنطينية .

وأصبح من الصعب في نقود العصر الأموي التمييز بين تلك الدنانير السورية أو المصرية بعد أن وحد بينهما المظهر العربى العام الذى حدده اصلاح عبد الملك للنقود وخاصة في الكتابة العربية المنقوشة ، أما وزن الدينار في مصر وسوريا فقد حدده الوزن الشرعى وهو ٢٥ ر٤ جرام للدينار وقد يزيد الوزن أو ينقص ولكن لا ضير في

ذلك مادام المعول عليه عند الوفاء بالالتزامات هو التحقق من ضبط الوزن بالصنح الزجاجية المتنوعة المخصصة لوزن النقود بأنواعها .

وإذا كان من الصعب علينا التمييز بين النقود الذهبية التي ضربت في مصر وبين تلك التي ضربت في سوريا في العصر الأموي فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للنقود من الفلوس التي كان يسجل عليها اسم الوالى أو عامل الخراج الذى ضرب النقد على يديه وتحت اشرافه كما يحمل اسم مكان السك أحيانا ، ولكن ذلك كله لم يتحقق الا بعد التعريب في عهد عبد الملك اذ أن الفلوس النحاسى المحفوظ بالمتحف البريطانى يظهر عليه اسم الخليفة كما تظهر عليه صورته وهو واقف وتحيط برأسه كوفية ويقبض بيده على سيفه وحول الصورة كتابة نصها (لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين) ولذلك يمكن اعتبار هذا الفلوس نقطة التحول الى الفلوس العربية فقد ظهرت بعد ذلك سلسلة من النقود البرونزية في مصر الأموية بوجه خاص كشفت عنها

حفائر الفسطاط وتزدان بها مجموعة متحف الفن الاسلامى وتحمل هذه النقود أسماء الولاة أو عمال الخراج الذين تولوا أعمالهم فى مصر مثل فلوس القاسم ابن عبيد الله عامل خراج مصر سنة ١١٦ — ١٢٤ هـ وفلوس عبد الملك بن مروان والى الخراج فى مصر سنة ١٣١ — ١٣٣ هـ والى جانب أسماء الولاة والعمال المنقوشة على الفلوس التى ضربت فى مصر فان السبيكة المصرية تميزت بطابع خاص عن السبيكة السورية النحاسية فالأولى سميكة ومن معدن البرونز وأقرب شبيهاً بالفلوس التى كانت تضرب فى الاسكندرية قبل الفتح العربى أما الثانية فرقيقة ومن خام النحاس .

وفيما يتعلق بالنقود الفضية فى العصر الأموى فقد وصل إلينا الكثير من الدراهم التى ضربت بعد اصلاح عبد الملك فى سوريا والعراق بوجه خاص وترجع أقدم الدراهم الأموية العربية الى سنة ٧٩ هـ ضرب « دمشق » « والكوفة » والى سنة ٨٤ هـ ضرب « واسط » وكل هذه الدراهم الأموية تحمل بين

كتاباتهما اسم دار السك التي توضح مكان ضربها . غير
أننا نفتقر الى الدراهم الفضية التي ضربت في مصر
في العصر الأموي فهي نادرة جداً مما جعل المؤرخ
المصرى المقرئى يقرر خطأ عدم وجود هذا النوع
من النقود الفضية في مصر قبل العصر الفاطمى « وأول
ما رأيت للدراهم ذكراً بمصر في أيام الحاكم بأمر
الله أحد خلايف (هكذا) الفاطميين » ولكن ندرة
هذا النوع من النقود الأموية الفضية لا يؤيد ما ذكره
المقرئى لأن مصر عرفت الدرهم منذ الفتح العربى
كما عرفت الدينار والفلس وقد أشير اليه في الكثير من
أوراق البردى العربية في دار الكتب المصرية ولكن
نماذج النقود التي تؤيد ما نذهب اليه غير موجودة وإن
كانت ثمت أدلة مادية أخرى توجد في الصنج الزجاجية
التي يمكن الاستناد اليها للتحقق من وجود الدراهم
وأجزائها في مصر وقد نشرنا الكثير مما هو محفوظ
في متحف الفن الاسلامى في كتاب خاص باسم « صنج
السكة في فجر الاسلام » .

النقود العباسية

المقدمة أن تغلب العباسيون على الأمويين في سنة ١٣٢ هـ انتقلت السلطة الى العراق . ولكن الدينار الذهب ظل يضرب في مصر ودمشق فترة طويلة بنفس العبارات التي سجلت على الدنانير الأموية فيما عدا تاريخ الضرب وذلك حتى سنة ١٩٨ هـ حين بدأت تظهر دور السك على النقود الذهبية لأول مرة في عهد الخليفة العباسي المأمون . فظهرت « مصر » و « العراق » على الدنانير ضرب سنة ١٩٩ هـ ، وتوزع ضرب الدنانير في عدة مدن حتى أصبح هذا النوع من النقود يضرب في أهم حواضر الولايات الاسلامية بعد سنة ٢١٢ هـ .

ولا يستند التمييز بين الدنانير التي ضربت في مصر وبين غيرها من دنانير الولايات الاسلامية الى تاريخ

ظهور « مصر » كمدينة للضرب لأول مرة على الدينار العباسي بل يستند الى تلك الأسماء التي ظهرت قبل ذلك على الدنانير المصرية . والواقع أنه منذ عهد الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) حدث تطور رئيسي في نظام النقود العربية ، فقد أمر هذا الخليفة بأن يكتب اسمه واسم ابنه الأمين على النقود الذهبية من الدنانير كما « وهب » الحقوق عينها لوزرائه والولاة وعمال المال وعبر المقرئ عن ذلك صراحة في قوله « وهرون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم ، والدنانير بأنفسهم » وقد كان لهذا النظام الإداري الجديد صدى في النقود المصرية فأصبح ضرب الدنانير من حق الولاة والعمال وأول من تمتع بهذا الحق « على بن سليمان ابن على العباسي » الذي تولى أمرة مصر من « ١٦٩ هـ — ١٧١ هـ » وتحمل دنانيره معظم العبارات الإسلامية التي تميزت بها الدنانير الأموية ، غير أن اسم الوالي « على » يظهر أسفل الكتابة المركزية على أحد وجهي الدينار . وتعددت بعد ذلك دنانير الولاة المصريين

وعمال الخراج في العهد العباسي ، وثمت حادثة هامة لا يمكن اغفالها عند الحديث عن تاريخ النقود العباسية في مصر وهي النزاع بين الأمين والمأمون من أجل الاستئثار بالسلطة فقد أشاع هذا النزاع بين الأمين والمأمون الفوضى والاضطراب في جميع أنحاء الدولة العباسية ، ولم تنته الفوضى باعتلاء المأمون عرش الخلافة سنة ١٩٨ هـ بعد مقتل الأمين ، بل ظلت آثارها عدة سنين قامت في خلالها ثورات علوية وأموية وأحزاب متضاربة وقيادات شعبية متنافرة يرغب بعضها في الاستقلال بمصر عن الخلافة العباسية في بغداد كشخصية « عبّاد » « والمُطَلَب » « والسُرّبي » وتشير المراجع التاريخية الى أن المأمون استطاع أن يقضى على سلطان الثائرين بقيادة عبد الله بن طاهر الذي هزم أبناء السري بن الحكم في صفر سنة ٢١١ هـ . فظهرت النقود منذ هذا التاريخ مضروبة باسم عبد الله بن طاهر فقط وتشير الى لقبه الذي خلعه عليه المأمون وهو لقب « المنصور » وبذلك عاد حق الخليفة المأمون في دنائير مصر وعاد معه حقه في الحصول على الخراج والأموال . والخلاصة

أن الدنانير وهى النقود الذهبية الرئيسية فى مصر التى ضربها الولاة من قبل الخلافة العباسية أو سكها ثوار وزعماء طامعون فى مصر ، لم يختلف طرازها العام عن النقود العربية التى ضربها الخلفاء فى بغداد أى « مدينة السلام » ويمكن أن نلخص التطور الذى حدث للدنانير المصرية فى العصر العباسى فيما يلى :

١ - ظلت النقود العربية فى مصر تتبع فى خصائصها النقود العباسية التى كانت فى الواقع استمرارا للطراز الأموى حتى عهد هارون الرشيد .

٢ - منذ عهد هارون الرشيد ظهر اسم الخليفة على النقود الذهبية وتمتع الولاة فى مصر وبعض عمال الخراج بحق ضرب الدنانير فظهرت أسماءهم عليها منذ سنة ١٧٠ هـ .

٣ - على يد المأمون أضيفت الى كتابات الدنانير بعض الآيات القرآنية فى هامش اضافى « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » كما أكملت بعض العبارات المقتبسة من القرآن الكريم

وأضيفت البسملة كاملة « بسم الله الرحمن الرحيم »
الى عبارة الضرب وتاريخه .

٤ — فى عهد المأمون ظهرت مصر كمكان للسك
مسجلة على الدنانير منذ سنة ١٩٩ هـ .

٥ — انتهز الثوار من الجند فرصة النزاع بين الأمين
والمأمون فمنحوا أنفسهم حق ضرب النقود الذهبية
بأسمائهم دون حق شرعى من الخليفة .

النقود الأحمديّة الطولونيّة

الواقع أن الطابع الذي أخذته النقود في مصر الطولونية يستند في تفسيره قبل كل شيء الى أصول تاريخية كامنة في العلاقة بين مصر وبغداد في تلك الفترة من تاريخ الطولونيين ، فمنذ أن تولى أحمد ابن طولون امرة مصر سنة ٢٥٤ هـ عمل على توحيد الولايات الاسلاميّة حتى تمكن في سنة ٢٦٦ هـ من تكوين دولة واسعة تتألف من « مصر وأجناد الشامات والثغور وقنسرين والعواصم والجيزة والحجاز ومكة والمدينة » بالإضافة الى برقة وهكذا امتدت أملاك الطولونيين من الفرات وحدود الامبراطورية البيزنطية ومن ساحل البحر المتوسط حتى أسوان جنوبا ، وقد هيأت الظروف السياسية المعاصرة لابن طولون — ظروف الخلفاء العباسيين الضعاف وسيطرة رجال البلاط الأتراك

عليهم - تأسيس هذا الملك العريض وضرب نقود طولونية خاصة في ظل اشراف صوري من الخلافة العباسية. والحقيقة أن النقود الرئيسية التي تداولتها مصر عند قيام الدولة الطولونية هي النقود العباسية التي ضربت باسم الخليفة المتوكل وابنه المعتز والخليفة المعتمد وابنه جعفر الملقب بالمفوض ، وظلت هذه الدنانير الذهبية متداولة في مختلف الأقاليم الطولونية حتى سنة ٢٦٦ هـ حين ضرب أحمد بن طولون دنانيره الأحمدية بعد أن نجح في توحيد مصر والشام .

أما فيما يتعلق بخصائص هذه الدنانير الأحمدية فهي تحمل اسم أحمد بن طولون ولعل هذا هو أبرز ما يضاف عليها اسم الدنانير الأحمدية ولم يحذف ابن طولون اسم الخليفة المعتمد على الله من هذه الدنانير لأنه لم ينكر عليه شرعية خلافته بقدر ما أكد لنفسه حقه في سك النقود باسمه . وتنحصر الدنانير الأحمدية فيما بين ٢٦٦ هـ ، ٢٧٠ هـ على التوالي وهي دنانير تشير الى دور سك مختلفة بعضها ضرب مصر والآخر ضرب الرافقة ودمشق . ولا يمكن القول على وجه التأكيد أن

الدنانير الاقليمية الطولونية كان يتم سكها في مصر دون
سواها ولكن ربما كانت قوالب السك ترسل من مصر
نفسها الى تلك الأقاليم غير ان الطابع الذي أخذته
الدنانير الأحمدية وإن كانت ضرب مصر أو غيرها واحد
تماما ، فهو طراز النقود العباسية منذ عهد المأمون من حيث
الكتابات العربية مع ذكر اسم الخليفة المعاصر على ظهر
الدينار وفي أسفله اسم « أحمد بن طولون » .

وظل الدينار الأحمدى نموذجا يحتذى به خلفاء
ابن طولون من بعده فلم تحدث تعديلات جوهرية في
عيار الدينار الأحمدى أو نصوصه غير كتابة اسم الحاكم
الطولونى المعاصر مصحوبا باسم الخليفة العباسى .

وقد كان اهتمام ابن طولون في تخليص الذهب
وتنقيته ليرفع عيار دينارہ الأحمدى مما كان سببا في اقبال
الشعب على التعامل بالدنانير دون غيرها من النقود
الطولونية بل واتجه الصاغة بوجه خاص الى اقتنائها على
اعتبار أنها أحسن ذهب يستعمل في التذهيب .

زهيب المغيرة

وقيت الدولة العباسية على الدولة الطولونية
نهائيا سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) وأحرق القائد
العباسي محمد بن سليمان عاصمتهم القطائع « ولم يدع
أحدا من آل طولون الا وساقه في الحديد الى العراق »
وبذلك عادت مصر والشام الى حظيرة الدولة العباسية ،
و حين نذكر ذلك لا بد أن نشير الى ما يتبع هذه العودة
من اقرار لحقوق السلطة العباسية في هذه البلاد وهي
سلطة تتمثل في شارات الخلافة الثلاث التي تستند الى
ذكر اسم الخليفة في الخطبة وتسجيله في الطراز على
الأقمشة ونقشه على النقود ، وكان ذكر اسم الخليفة
العباسي على النقود غير مقرون باسم أحد من الولاة
المصريين كما كان الحال في العصر الطولوني ، واستمر
هذا الوضع ثلاثين عاما تعاقب خلالها على الخلافة أربعة

من الخلفاء العباسيين هم المكتفى والمقتدر والقاهر والراضى ولم تستطع مصر في ظل هؤلاء الخلفاء من أن تحصل على حقها في ضرب نقود مستقلة حتى تولى حكم مصر محمد بن طعج الأخشيد ونجح في اقرار الوحدة المصرية السورية من جديد بعد مقتل ابن رائق منافسه في الشام وظل حق ضرب النقود باسمه منذ سنة ٣٣١ هـ قائما بالنسبة له ولابنائه من بعده حتى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) حين استولى الفاطميون في عهد الخليفة المعز لدين الله على مصر ووضعوا أيديهم على سوريا كذلك . والحق أن الفرصة في هذه البلاد كانت قد تهيأت تماما لانجاح الغزو الفاطمي على يد جوهر قائد المعز لدين الله الذي توجه الى مصر من القيروان ومعه من الدنانير الذهبية مما حمل في (١٢٠٠) ألف ومائتى صندوق كما يذكر ابن خلدون هذا الى مجموعات الدنانير المغربية التي تعذر نقلها الى مصر فصهرها المعز لدين الله وجعلها سبائك في هيئة احجار الطواحين المستديرة المفرغة من الوسط ووضعت على الجمال كل اثنين منها فوق ظهر جمل وقد قدر بعض المؤرخين هذه

السبائك الذهبية بثلاثة وعشرين مليون دينار أعاد المعز ضربها من جديد في دار السك المصرية .
وهكذا ساعد مجيء الفاطميين الى مصر على زيادة الذهب وذلك لأن المعز لدين الله قد عنى منذ البداية باجتذاب قلوب الكثيرين من الدعاة في مصر عن طريق اغداق الذهب عليهم . وقد حدد الصلاح الذي عقده جواهر مع المصريين في الاسكندرية في ٨ شعبان سنة ٣٥٨ هـ مصير النقود الأخشيدية بأكملها بعد أن وافق الطرفان على تغيير النقود وتجويدها ومنع الغش فيها وصرفها الى العيار الذي عليه النقود المنصورية التي ضربها الخلفاء الفاطميون في مدينة المنصورية في شمال افريقيا بتونس الحالية ، وقد أراد جواهر بهذه الشروط تأكيد حق الخليفة المعز في ضرب النقود فقد أمر جواهر بضرب « الدينار المعزى » الذي يحمل اسم المعز ولقبه ، ولما كان الفاطميون من الشيعة فان سكتهم المصرية كانت بالضرورة تحمل صبغتهم المذهبية الشيعية فاتتحت بذلك كل خصائص النقود العباسية السنية في مصر فيما عدا ما يشير من نصوصها

الى شهادة الوجدانية أو الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبحنا نجد على وجه الدنانير المعزية منذ سنة ٣٥٨ هـ عبارات تشير الى الرسالة المحمدية مع تمجيد على بن أبى طالب بعبارة « وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين » كما يظهر لقب المعز «الامام معد أمير المؤمنين » وقد أخذت النصوص المكتوبة على الدنانير المصرية منذ عهد المعز زخرفها وازينت فبدت في شكل دوائر تحيطها حلقات من خطوط بارزة على وجهى الدينار واصبحنا نقرأ في هذه الدوائر عبارات شيعية كثيرة نصها على الوجه :

١ — محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

٢ — وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين .

٣ — لا اله الا الله محمد رسول الله .

وعلى الظهر :

١ — بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة ثمان

وخمسين وثلثمائة .

٢ — دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد .

٣ — المعز لدين الله أمير المؤمنين .

واذا صرفنا النظر عن ارتباط هذه النصوص بالعقائد الشيعية نلاحظ ان هذه النصوص مطابقة للنقود المعاصرة التي ضربت بالمنصورية التي أسسها الفاطميون بتونس الحالية سنة ٣٣٧ هـ .

والى جانب ذلك التشابه بين نصوص النقود الفاطمية في مصر والمغرب نجد تشابها آخر في العيار فقد وصل عيار النقود الذهبية في مصر الفاطمية الى ٢٣٥ قيراط وذلك في حدود ما قمت بالكشف عن عياره بمجموعات متحف الفن الاسلامي وهو عيار جيد جدا يتمشى مع عيار النقود المنصورية وهو ما أشار اليه جوهر في عهده الذي قطعه على نفسه للمصريين وان كنا نؤكد ان هذا العيار ليس بجديد على النقود المصرية فهو عيار عرفتته مصر الطولونية من قبل في الدنانير الأحمدية .

وبرغم نجاح جوهر في امتصاص كل النقود التي كانت سائدة في أسواق مصر قبل الفتح الفاطمي فان

الدينار العباسي المعروف باسم الدينار الراضي (نسبة للخليفة الراضي ٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) ظل وسيلة الدفع لأنه كان اذ ذاك أكثر وزنا وأشد نقاء من الدينار المعزى حتى اضطر المعز الى حمل الناس على التعامل بدنانيره بطرق شتى من بينها التجائه الى الاكثار من ضرب النقود الشيعة كي تغمر الأسواق بوفرة مع تحديد سعر رسمي منخفض لدينار الراضي فجعل قيمته من الدراهم خمسة عشر درهما في الوقت الذي حدد فيه سعر الدينار المعزى بخمسة عشر درهما ونصف بينما تحددت الدنانير الأموية ان وجدت في السوق بعشر دراهم وبسته دراهم أحيانا أخرى وبثمانية دراهم في بعض الأحوال وأصدر المعز تعاليمه الى عمال الخراج والحسبة ومنهم « يعقوب بن كلس » و « عسلوج بن الحسن » ألا يتسلما الخراج الا بالدنانير المعزية وليس من شك أن هذه الوسائل جميعها قد آتت ثمارها « فاتضع الدينار الراضي وانحط » الى نحو الثلثين من قيمته فخسر الناس كثيرا لأن كل من كان يملك الدينار الراضي اضطر الى بيعه بأقل من قيمته ودخلت حكومة المعز الفاطمية في هذه المضاربة مشترية

بالسعر الذى حددته فتحقق لها ربح مؤكد ، فضلا عن نجاحها فى سحب نقود ذهبية سنية كان لها قيمتها فى نفوس الناس ، والحق أن الحكومة الفاطمية فى اتخاذها هذه التدابير كانت تسير على مبدأ اقتصادى ساد فى مصر حتى هذا العصر وهو « ان النقود تتوقف على ارادة الحاكم » وقد يكون تشديد الدولة الفاطمية فى فرض نقودها على المصريين وغيرهم من رعايا الدولة يتمشى مع رغبتها فى القضاء على كل مظهر من مظاهر السيادة العباسية السنية حتى تنهيا الشعوب لاستقبال العهد الجديد فى ظل السياسة والأنظمة الشيعية .

وقد صحب استعمال دينار المعز فى التداول تحديد قيمته من الدراهم الجديدة التى ضربها الفاطميون فى مصر ولكن الغالب أن الحكومة الفاطمية لم تتوسع فى ضرب الدراهم فى أول عهدها الى أن كان عصر الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ (٩٩٦ - ١٠٢٠ م) فتحولت

مصر بشكل واضح الى نظام المعدنين Bimetallic System بعد أن أصبحت الدراهم فى عهده نقودا قانونية ومن الطبيعى أن يكون الاقبال على الدنانير والدراهم

الفاطمية قاصرا أول الأمر على المدن والمراكز التجارية الرئيسية ، ذلك لأن أهل الريف وخاصة في الوجه القبلى كانوا يسرون على نظام المقايضة فى معاملاتهم التجارية وقد أقرت الحكومات المتعاقبة على مصر منذ الفتح الإسلامى هذا الوضع الاقتصادى حتى أنها كانت « تجبى الخراج من الصعيد عينا » .

أما الفلوس الفاطمية فنحن لا نشك فى وجودها الى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية لأن وجودها يساعد الى حد كبير على مرونة العمليات التجارية كنقود مساعدة ولكن ليس بين أيدينا من هذا النوع من العملة ما يمكن أن نقف منه على خصائص الفلس الفاطمى أو كتاباته وان كانت بعض الوثائق البردية التى ترجع الى القرن الرابع الهجرى تشير الى أن أسعار بعض الحاجيات كانت تنخفض الى أجزاء من الدنانير لم تضرب من النقود الذهبية وربما كان الدفع بالنسبة لهذه الأجزاء الصغيرة من السدس دينار بالفلوس كما أن بعض أجور العمال حددت بالدراهم وأجزاء من

الدرهم بلغت ربع درهم أحيانا ، ووصلت أثمان بعض الأقمشة الى قيراط ومن الطبيعي أن يكون تقدير أجزاء هذه الدراهم أو هذه القراريط بالفلوس وان كان ذلك يتطلب في الحقيقة علاقة ثابتة بين أنواع النقود الفاطمية المختلفة والمعروف أن الدينار المعزى كان يساوى منذ الفتح الفاطمي ٢/١٥١ درهم وقد تغيرت هذه القيمة بعض الوقت حتى وصلت أحيانا الى ٣٦ درهم ، أما النسبة بين الدينار والدرهم من ناحية وبين الفلوس فلم تكن محددة لأنها نسبة جزئية تغيرت قيمتها بسبب الغش الذي كان يحدث فيها عن طريق الصيارفة اليهود حتى لجأت الحكومة الفاطمية الى فرض رقابة مشددة لمنع تداول النقود المنحطة وخصصت مكانا محددًا للصيرفة يسهل الاشراف عليه سمي « برجة الصيارفة » بجوار المسجد الجامع (جامع عمرو) في مصر .

النقود التذكارية في عصر الفوالم

المنشأ الدولة الفاطمية في مصر نقودا تذكارية من معادن وأحجام مختلفة قصد الانعام بها على الشعب في بعض المواسم والأعياد ، ولعل العباسيين هم أول من ضرب مثل هذه النقود لتوزيعها كعطايا من الخلفاء والأمراء ونشرها على الناس كما تنشر الورود في حفلات العرس والولادة والختان .

ويشير المقرئ في « اغائة الأمة » الى كثير من الدناير العباسية التي ضربت بأوازن مضاعفة لتفريقها على الشعب في عيد النيروز ، والمهرجان ومن بينها دناير « جعفر بن يحيى » التي نقش عليها الأيات الآتية :

| | |
|-------------------------|---------------------|
| وأصفر من ضرب دار الملوك | يلوح على وجهه جعفرا |
| يزيد على مائة واحد | إذا ناله معسبر أسرا |

كما ضرب العباسيون دنائير سميت بدنائير الخريطة
(الخزائنة) للانعام بها على المغنين وغيرهم .
واقتردى الفاطميون بهذه السنة للدعاية لأنفسهم ،
وكسب مودة الشعب وولائه وعندما انتشر دعاة
الفاطميين في أواخر عصر الدولة الأخشيديّة في مصر ،
لأخذ البيعة للخليفة المعز لدين الله من كثير من رؤساء
الجند الاخشيديين قبل غزو الفاطميين للبلاد سنة ٣٥٨ هـ
اصطحب هؤلاء الدعاة معهم دنائير ذهبية باسم المعز
لدين الله ضربت خاصة لهذه المناسبة وعليها اسم مصر
وتاريخ سنة ٣٤١ هـ مع بقية العبارات الشيعية الأخرى
وتحتفظ مجموعة دار الكتب المصرية بواحد من هذه
الدنائير التذكارية النادرة التي تسبق فتح الفاطميين لمصر
بسبعة عشر عاما ... وابتدع الفاطميون نوعا من النقود
التذكارية الذهبية صغيرة الحجم خفيفة الوزن تسمى
خراريب (جمع خروبة ١٩٤ و١٠ جرام) لتوزع في بعض
المواسم والأعياد على أفراد الشعب كما يحدث مثلا في
خميس العهد الذي « يسميه أهل مصر من العامة خميس
العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام

ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خروبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم .

كما كانت تضرب نقود تذكارية أخرى « برسم التفرقة » في أول كل عام تسمى « الغرة » وهي مجموعة من الدنانير والرباعيات والدراهم المدورة تضرب بأمر الخليفة في العشر الأخيرة من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب أولها « فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينارا وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى أولاده وأخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار ويحدثنا المقرئ في خطه أن جملة المبلغ الذي ينعم به من هذه العشرة أول العام « من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار » فيقبلها الوزراء والأمراء وأرباب المراتب من الخليفة على سبيل التبرك .

عصر الفضة الأيوبية

يمكن أن نغفل في أواخر العصر الفاطمي  أثر الحوادث السياسية في المركز الاقتصادي للشرق العربي ، فقد أخذت الدولة الفاطمية في الاضمحلال ، وفقدت صقلية أيام المستنصر ، وتحولت السلطة الى الوزراء الذين كانوا أصحاب الولاية على الخلفاء الصغار الضعاف ، واشتد التنافس بين هؤلاء الوزراء على المناصب ، وانقطعت الدعوة للخلفاء الفاطميين منذ عهد المستعلى بالله من أكثر مدن الشام ، واستعاد الصليبيون عسقلان في عهد الخليفة الظافر ، ونهب ملك صقلية النرمندى مدينة تنيس أشهر مدن مصر في صناعة النسيج الدقيق ، وهدد الفرنج البلاد المصرية أثناء حكم الخليفة العاضد لدين الله ، مما اضطره الى طلب النجدة من الملك العادل نور الدين

محمود صاحب دمشق . وقد أثرت كل تلك الأحداث
القضاء نهائيا على دولة الفاطميين الشيعة وقيام دولة
الأيوبيين السنية في مصر على يدى الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب أحد قواد نور الدين .

ويحدثنا المقرئ عن نقص الذهب والفضة في
مصر نقصا خطيرا في بداية عصر الأيوبيين ، فيذكر أنه في
سنة ٥٦٩ هـ أى بعد عامين من قيام الدولة الأيوبية
« عمت بلوى المصارف بأهل مصر لأن الذهب والفضة
خرجا منها وما رجعا وعكس ما فلم يوجدوا ولهمج الناس
بما غمهم من ذلك وصاروا اذا قيل دينار أحمر (ذهب)
فكأنما ذكرت حرمة له وان حصل في يده فكأنما جاءت
بشارة الجنة له » غير أنه لا يمكن التسليم بكل هذه
النتائج التى وصل اليها المقرئ سيما وأن خزائن
القصور الأيوبية كانت تفيض بالدراهم والدنانير
والمصاغ والجواهر بشكل « لا يفى به مثلك الأكاسرة
ولا تتصوره الخواطر ولا تشتمل على مثله الممالك
ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق
في الآخرة » على حد تعبير المقرئ نفسه في (شذور

العقود) . وتشير بعض المراجع الى أن ما خلفه الملك الكامل الأيوبي من الذهب وحده ستة ملايين من الدنانير المصرية .

والصحيح أن النقود الرئيسية من الذهب قل وجودها في عصر الأيوبيين ومن السهل تتبع أسباب هذه الندرة خلال الأحداث التي اختتم بها عصر الفواطم، فقد انخفض آنذاك استغلال مناجم الذهب في وادي العلاقي بالصحراء الشرقية ولم يعد للحكومة المصرية أى اشراف رسمى على ما يستخرج منها بل ترك أمرها للأفراد يجمعون منها ما يمكنهم جمعه ويصدرونه الى خارج البلاد كما يذكر الأدريسى سنة ١١٥٠ م ، وكذلك قلت ثمرة البحث عن المطالب والكنوز بين محتويات المقابر الفرعونية لانصراف الدولة الى اقرار سلطانها وتثبيت كيائها خلال العمليات الحربية التي بدأت منذ أواخر العصر الفاطمى ، هذا فضلا عن هبوط الصادرات المصرية بشكل ملحوظ ، لأن الأقمشة المصرية التي كان يصدر منها الى بغداد في القرن العاشر الميلادى بما قيمته ٢٠٠٠٠٠ دينار سنويا انعدم تصديرها منذ

احتكار الفاطميين لمصانع النسيج ، هذا الى جانب نهب الصليبيين لمدينة تنيس عدة مرات ، حتى أصابوا هذه الصناعة بضرية قاصمة في أواخر العهد الفاطمي .
كما أن مصاريف باهظة تقدر بالدنانير قد تكلفتها العمليات الحربية بين المصريين والصليبيين من ناحية وبين صلاح الدين وبقايا الفاطميين من ناحية أخرى كما نشط الصليبيون في تهريب الذهب الى البندقية ومرسيليا وبرشلونة نشاطا زائدا وبذلك قلت كميات الذهب في الأسواق العربية بشكل ملحوظ .

والخلاصة أن ندرة الذهب في عصر الأيوبيين تتلخص في عاملين رئيسيين : أولهما الاكتناز Thesaurisation الذي لجأ اليه سلاطين الدولة الأيوبية للاحتفاظ بالنقود الجيدة فقط من الدنانير الذهبية دون غيرها . وثانيهما تسرب الذهب من البلاد خلال العمليات الحربية التي ارتبطت بها مصر والشام منذ أواخر العصر الفاطمي وأوائل العصر الأيوبي حتى أن مرتبات الجنود الأيوبيين كانت تصرف بالدراهم الفضية رغم أنها مقدرة اسميا بالذهب على أساس أن سعر الدينار ستة عشر درهما .

كما كانت ميزانية الدولة الأيوبية عامة مقدرة بالنقود الذهبية من الدنانير مع أن المصروفات لم تكن تسدد بغير الدراهم الفضية ، وحتى الدراهم الناصرية التي أمر صلاح الدين بضربها بكثرة كانت دراهم رديئة تصل نسبة النحاس فيها الى النصف ، وهكذا كانت القيمة الاسمية القانونية لهذه الدراهم الناصرية تتفوق على قيمتها المعدنية مما أضر بالناس ضررا بليغا حتى لقبوها في مصر « بالزيوف » أى الدراهم الزائفة وخشى سلاطين الأيوبيين بعد صلاح الدين امتصاص هذه الدراهم من السوق بنفس قيمتها الرسمية حتى لا يتعرضوا هم أنفسهم لخسارة محققة ، مما اضطر الملك الكامل محمد بن العادل الى ابطال التعامل أصلا بهذه الدراهم سنة ٦٢٢ هـ وضرب دراهم أخرى جديدة جعلها ثلاثة أثلاث ثلثان من فضة وثلث فقط من نحاس ، واستمر ذلك النوع من الدراهم سائدا في التعامل ومقبولا في مصر والشام بقية أيام الدولة الأيوبية وعصر المماليك وأدرك المقرئ في القرن ١٥ الميلادى الناس يتعاملون بها وقد أصدر الملك الكامل

أوامره الى حاملى الدراهم الناصرية (الزيوف) أن يتوجهوا الى الصيارفة لاستبدالها بدراهمه الكاملة على حساب كل رطل من الناصرية ب $\frac{1}{2}$ من الدراهم الكاملة ويحدثنا المقرئى أن رواج الدراهم الكاملة فى مصر اكتسح أمامه الذهب ، والمهم فى ذلك أن الدراهم الفضة قد أصبحت هى النقود الرئيسية فى مصر الأيوبية » وصارت المبيعات الجليلة تباع وتقوم بها واليها تنسب أثمان المبيعات عامة وقيم الأعمال وبها يؤخذ خراج الأرضين وأجرة المساكن وغير ذلك وكان وزن الدرهم ثمانية عشرة خروبة « أى ٣٣٩ ر٣ جرام على أساس أن وزن الخروبة ١٩٤ ر٠ كما أمكنى تحديده من واقع الصنج الزجاجية الخاصة بالنقود فى مجموعة متحف الفن الاسلامى .

وهكذا تحولت مصر فى العصر الأيوبى من نظام المعدن الفردى الى نظام المعدنين Bimetallic System ، اذ أنه رغم المحاسبة على أساس النقود الذهبية أصبحت الدراهم سواء الناصرية أو الكاملة وحدة للتعامل فى الأسواق كعملة قانونية لم يكن بد من التعامل بها .

وفي سنة ٦٣٠ هـ حدثت أزمة اقتصادية في عهد الملك الكامل انحط معها السعر انحطاطا ملحوظا وانخفضت قيمة الدينار من الدراهم الفضة الى عشرة، وثمانية عشر درهما من الفلوس النحاس وقدر لوحظ زيادة كميات هذه الفلوس النحاسية زيادة غير طبيعية حتى أصبحت النقود المتداولة في مصر قاصرة على أعداد ضئيلة من الدراهم الفضة الأيوبية ومجموعات ضخمة من العملة النحاسية ، ومن ثم تعتبر أزمة سنة ٦٣٠ هـ مهمة في تاريخ النقد الأيوبي رغم قصر أمدها ، فلأول مرة أصبحت النقود النحاسية عاملا هاما في السوق النقدية وأصبحنا نسمع عن «الدراهم الفلوس» وهي النقود النحاسية التي ضربها الملك الكامل ، وانكشفت أمامها « الدراهم الفضة » ولم تعد كافية لسد حاجة التجار ، فانتفح المجال أمام العملات الفضية الأجنبية للظهور في الأسواق المصرية مثل نقود البندقية التي بدأ سكها سنة ١٢٠٣ م وحذت حذوها فلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية ، وهذا السبب في ذاته كان عاملا رئيسيا في اختفاء الفضة من البلاد المصرية

لتهريبها الى أوروبا كى تأخذ طريقها الى دور السك
الايطالية النشيطة .

وحتى وفاة الملك الكامل كان فى مصر نوعان
رئيسيان من النقود المتعامل بها وهى الدراهم الفضة
« النقرة » والدراهم الفلوس النحاسية وتقرر أن
يستبدل كل درهم نقرة أى من انفضة بستة من الدراهم
الفلوس النحاسية ووصل الأمر الى حد توقيع
العقوبات البدنية على كل من يخالف ذلك .


وتختتم سلسلة النقود الأيوبية بآخر سلاطين
الأيوبيين فى مصر وهو ترنشاه بن الصالح نجم الدين
أيوب الذى كان له فضل القضاء على الصليبيين فى
موقعة المنصورة وأسر لويس التاسع وتعتبر نقود
ترنشاه من أندر العملات الأيوبية ، ذلك لأنه لم يحكم
مصر غير واحد وستين يوما انتهت فى مايو سنة ١٢٥٠ م
وقد رددت المراجع التاريخية كلها اسم ترنشاه فى كلمتين
(توران شاه) بينما ورد اسمه على النقود وهى الوثيقة
الرسمية (ترنشاه) وسجل معه اسم آخر خلفاء

العباسيين في بغداد وهو المستعصم بالله كما فعل أبوه
الصالح نجم الدين .

الامام
المستعصم
بالله أبو أحمد
أمير المؤمنين

الملك المعظم
غياث الدنيا
لدين ترنشاه بن محمد

نُفُود الصليبيين في الشرق العربي

 الشرق العربي في أواخر القرن ١١ م غزوات أوربية تتمثل فيما عرف بالحروب الصليبية وهي حملات عسكرية من قبل الغرب اتخذت من الدين ستارا لاخفاء ما تنطوى عليه من المطامع والأغراض السياسية والتجارية والاستعمارية وترتب عليها قيام أربع امارات صليبية في الرها ، وأنطاكية ، وبيت المقدس ، وطرابلس ، ولم تتمكن القوى الإسلامية من القضاء على هذا الخطر الصليبي الا في أواخر القرن ١٣ م في عهد السلطان المملوكي خليل بن قلاوون .

ويرجع نجاح الاستعمار الصليبي الى تفرق كلمة المسلمين في الشام ، وسوء الأحوال السياسية الذي تردت فيه الدولة الفاطمية في مصر بسبب ضعف الخلفاء ، فضلا عما أصاب مصر بوجه خاص من كوارث اقتصادية نجمت عن انخفاض النيل مرات عديدة .

على أننا لن نمنع في تتبع تحركات هذه الحملات الصليبية ضد العرب بل كل ما يعنيننا هنا هو تلك النقود المعاصرة للفاطميين والأيوبيين ، والتي ضربها الصليبيون في أرض الوطن العربي أثناء استقرارهم فيه ، فقد دعتهم الحاجة المالية للتجارة وشئون الحجاج والفرسان المتنقلين أو المقيمين الى ضرب نقود للتداول في الأراضي المقدسة كتلك التي ضربها البنادقة من الذهب وعرفت باسم : *Byzantini Saraceni* أي « العملة البيزنطية العربية » وتعتبر هذه النقود أقدم عملة ضربها اللاتين للتعامل بها في البلاد الإسلامية وعلى هذه القطع نقوش عربية وآيات قرآنية وكتابات تشير الى الرسالة المحمدية مع التاريخ الهجري وقد استمرت هذه النقود في التعامل حتى القرن ١٣ م رغم احتجاج البابا اينوسنت الرابع على ضربها بالكتابات الإسلامية .

ومنذ فقد الفاطميون أملاكهم في فلسطين تحول بلدوين الثالث ملك بيت المقدس الى غزو مصر سنة ٥١١ هـ في عهد الخليفة الأمر فاستولى على الفرما

وتقدم نحو تنيس ولم يرده عن الاستمرار في التقدم
غير مرض الموت ، وحوالى هذا الوقت ضرب الفرنجة
نقودهم بعد أن كانوا قد أصدروا عملة زائفة باسم
ال خليفة الأمر لمدة ثلاث سنوات ، وتوجد بعض هذه
النقود في مجموعة دار الكتب المصرية وهى تحمل كتابات
النقود الفاطمية فيما عدا الفرق الواضح بين الكتابات
المنقوشة على النقود الصليبية بأيدي صانع غير متخصص
فى اللغة العربية وحروفها ، وتحمل بعض هذه النقود
اسم دار السك « المعزية القاهرة » .

ومن الحملات الصليبية الرئيسية التى ارتبطت
بظهور نقود صليبية فى مصر تلك الحملة المعروفة
بالخامسة التى شنها الصليبيون سنة ١٢١٨ م بدعوة
خاصة من البابوية لتحطيم مصر كمركز للقوة الاسلامية،
وقاد هذه الحملة جان برين الذى تمكن من الاستيلاء
على دمياط فى عهد الملك الكامل ، وبذلك أصبح
الصليبيون أصحاب السلطة فى المدينة مدة عشرة أشهر
منذ ٥ نوفمبر سنة ١٢١٩ م الى ٧ سبتمبر سنة ١٢٢٠ م
وفى هذه المدة ضرب الصليبيون نقودا خاصة بهم للتعامل

بها في أسواق دمياط ، وتحمل هذه النقود اسم «دمياط»
باللاتينية حول شارة المسيحية : الصليب داخل دائرة .
وهناك مجموعات نادرة أخرى من النقود الصليبية
في الأقاليم السورية الساحلية وقد عرّفها العالم فيما
كتبه فوجيه Vogue ولافوا Lavoix وبلانكارا Biancard
وشلومبرجر Schlumbeger ، والمجموعات التي درسها
هؤلاء العلماء من نوعين رئيسيين :

أما النوع الأول فهو نقود ضربها الصليبيون قبل
سنة ١٢٥٠ م تقليدا للنقود العربية الفاطمية بكتاباتهما
وكل خصائصها الإسلامية ، أما النوع الثاني فهو نقود
صليبية بعبارات مسيحية مسجلة باللغة العربية ضربت
بعكا بأمر القديس لويس سنة ١٢٥٠ م وما بعدها
وهي تقليد للنقود الأيوبية ، وأهم ما يميز هذا النوع
عبارات التثليث (الأب والابن وروح القدس) وشارة
المسيحية على الوجه الثاني محاطة بعبارة (الله واحد هو
الایمان واحد - المعمودية واحدة) وبعض هذه النقود
دنانير من الذهب وبعضها دراهم من الفضة وتعتبر
النقود الفضية نادرة جدا ويضم متحف الفن الاسلامي

نماذج منها ، ويلاحظ على كتابات النقود الصليبية التي ضربت تقليدا للنقود الأيوبية المعاصرة أن طرازها سهل تمييزه عن النقود الإسلامية الأصلية وربما سك الصليبيون هذه النقود في دور سك صليبية أو في دور سك البندقية أو غيرها من المدن الإيطالية ، وبعض الدراهم الصليبية التي تحمل تاريخ سنة ٦٤١ هـ تذكر اسم الخليفة العباسي « المستنصر بالله » بألقابه (أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين) مع أن هذا الخليفة كان قد مات منذ سنة أي سنة ٦٤٠ هـ ، وكثير من الدراهم الصليبية التي ضربت تقليدا لدراهم الصالح اسماعيل تذكر أنها ضرب دمشق سنة ٦٤٤ هـ وتحمل أيضا ألقاب المستنصر مع أن المستنصر مات قبل ذلك بأربع سنوات كما أن الصالح اسماعيل كان قد ترك دمشق للصالح أيوب في ٨ جمادى الأولى سنة ٦٤٣ هـ وأصبح من غير المعقول أن تضرب دراهم دمشق بعد هذا التاريخ باسم الصالح اسماعيل . ويغلب على الظن أن مثل هذه الدراهم التي تحمل أسماء وتواريخ خاطئة قد ضربها الصليبيون في أوروبا على يد عمال سوريين من أسرى الحروب

الصليبية اذ هم أقدر على الكتابة العربية من غيرهم من العمال الأوربيين ولم يكن الضراب المسلم قد علم وهو في الأسر بموت الخليفة أو بترك الصالح اسماعيل لدمشق فاستمر يضرب النقود الصليبية بتواريخ متتابعة لا تتمشى مع التغييرات السياسية في الشرق العربى .

وفى ميدان النقود لا يمكن أن نغفل النشاط الذى نجم من قبل الحجاج والجيوش الصليبية بين أوروبا والشرق العربى فقد ساعد هذا النشاط على تقدم التجارة الدولية الى حد لم يكن معروفا من قبل الحروب الصليبية وتطلبت الظروف المالية الجديدة تداولا أسرع وأعظم للعملة فابتكرت طريقة الأوراق المالية الخاصة بتقييد ما للعميل من حساب فى المصارف . Credit-notes

وتأسست البيوت المالية فى جنوة ويزا وانتشرت فروعها وأعمالها فى شرق البحر المتوسط وصارت لبعض الهيئات العسكرية الصليبية فى قبرص ورودس مصارف للايداع والتسليف كما استعملوا الصكوك ، و «الصك» كلمة عربية من أصل فارسى وقد أخذها الأوربيون عن العرب فأصبحت فى الانجليزية Check

النقود المملوكية

المطلع بعض المؤرخين على تقسيم عهد سلاطين المماليك في مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) الى قسمين : الأول عصر المماليك البحرية نسبة الى « بحر النيل » الذى تطل عليه قلعة الروضة حيث سكن مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، والثانى عصر المماليك الشراكسة أو البرجية نسبة الى أبراج القلعة التى سكنها مماليك قلاوون .

ولم تعرف النقود العربية فترة من الاضطراب كتلك الفترة التى شملت العصر المملوكى كله ، ذلك العصر الذى ساءت فيه أحوال الناس بسبب مصادرة الحكومة المملوكية لحاصلاتهم أو شرائها بأبخس الاثمان ، ولا غرو فقد كان العدل فى ذلك العصر سلعة يختص بها أكثر المتزايدين ، وكثيرا ما اتتبت البلاد الأوبئة والطواعين

صحبة القحط والغلاء بسبب قصر النيل وشرق الأراضى
« حتى شمل الخراب الشنيع عامة أهل مصر » على حد
قول المقرئى .

وقد افتتح هذا العصر بتولية الملكة « شجر الدر »
أم خليل — زوجة الملك الصالح أيوب سلطنة على مصر ،
ولم تكن شجر الدر بحكم صفة الأنوثة من الجنود
البحرية بل كانت جارية أرمنية مما ملكت يد الصالح
أيوب فأنجب منها الصالح ولده خليل الذى توفى صغيرا
لذلك لم يعد هناك وارث للعرش الأيوبى بعد مقتل
ترنشاه فى مستهل ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) فاجتمعت كلمة
أمرء المماليك على اقامة شجر الدر فى السلطنة وتلقبت
باسم (والدة خليل) وخطب لها بالسلطنة بالقاهرة ومصر
وسائر الديار المصرية ونقش لقبها على النقود مصحوبا
باسم الخليفة العباسى المستعصم بالله ، ولم تنقش
شجر الدر اسمها صراحة على الدنانير والدراهم التى
ضربت بها ، كما أن نقودها النحاسية لم يصل إلينا منها
قطعة واحدة ، فأضحت نقودها بوجه عام من أندر النقود
الاسلامية فى العالم ، ولا يوجد منها غير دينار واحد

بالمتحف البريطاني وآخر بإحدى المجموعات الخاصة بالقاهرة
مع أربعة دراهم أخرى من الفضة ، ويظهر على دنانيرها
كتابات بالخط النسخي نصها : (هامش الوجه) لا اله
كتابات بالخط النسخي نصها :

(هامش الوجه) لا اله الا الله محمد رسول الله
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .
(مركز الوجه)

المؤمنين

المستعصية الصالحة

ملكة المسلمين والددة

الملك المنصور

أمير

(هامش الظهر) بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا
الدينار بالقاهرة سنة ثمان وأربعين وستماية .
(مركز الظهر)

الامام المستعصم

بالله أبو أحمد عبد الله

أمير المؤمنين

ولكن مالبث المماليك أن خلعوا تلك السلطنة
الماهرة بعد شهرين فقط من توليتها وأقاموا مكانها
زوجها المعز أيبك بعد أن جاءهم كتاب الخليفة المستعصم
العباسي ينعي عليهم اقامة امرأة في السلطنة اذ ورد فيه
« ان كانت الرجال قد عدت عندكم فأعلمونا حتى نسير
اليكم رجلا » ويتضح من نقود أيبك أنه لم يسجل عليها
اسم الطفل الأيوبي الأشرف موسى الذي جاء به الى
العرش ارضاء للأيوبيين في سوريا والكرك ، بل قبل
أيبك أن يحكم البلاد باسم سيده الملك الصالح نجم الدين
فسجل اسمه على النقود منذ ٦٥٢ هـ مصحوبا باسم
الملك الصالح تقديرا للوفاء له ، ولا يفصل بين الاسمين
غير شارة في هيئة الرقم ٧ ربما للدلالة على أحد الرنوك
(الشارات) التركمانية للمعز أيبك :

الملك الصالح

نجم الدين أيوب

.. ٧ ..

أيبك

ثم تولى المنصور نور الدين على بن أيبك السلطنة
وله من العمر ١١ سنة ف ضرب النقود باسمه سنة ٦٥٥ هـ
مصحوبا كذلك باسم الخليفة العباسي المستعصم بالله ،
غير أن تولية نور الدين على بن أيبك العرش بعد أبيه
وضربه النقود باسمه ، لم يكن احتراما لمبدأ وراثته
العرش ، اذ كان هذا المبدأ غريبا على عقلية المماليك
وما لبثت طبيعة العصر المملوكي أن تغلبت وقبض على
نور الدين وتولى السلطنة سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م)
مملوك آخر أقوى هو قطز الذي سجل اسمه « الملك
المظفر سيف الدنيا والدين قطز » على نقوده الذهبية
والفضية بمفرده بعد أن ظفر على المغول في «عين جالوت» .
ولم تستقر النقود على حال طيلة العشر السنوات
الأولى من حياة المماليك البحرية بسبب عدم استقرار
الحالة السياسية في الشرق العربي واجتياح المغول
للخلافة العباسية في بغداد وتخريبهم مراكز الحضارة
في الشرق ، ولكن بعد أن تولى السلطان الظاهر بيبرس
٦٥٨ هـ - الذي انتحل النصر في عين جالوت لنفسه -
ضرب الدنانير والدراهم الظاهرية بالقاهرة والاسكندرية

مميزة برنكه الذى نقشه على بعض العمائر والمنشآت
التي أقامها وهو رنك السبع كما سجل عليها عبارات
كانت صدى لأحداث هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ،
ذلك أن بيبرس نجح سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) فيما فشل
فيه أحمد بن طولون ومحمد الأخشيد ، وهو اجتذاب
الخلافة العباسية — التي حطمها المغول فى بغداد — الى
القاهرة ، ولعل السبب فى ذلك المشروع هو أن بيبرس
وجد أن السلطة فى مصر قد أصبحت فى يده فأراد أن
يسيج دولته بموافقة الخليفة العباسى ورضاه ، رغبة فى
التحصن ضد أية محاولة لأبناء البيت الأيوبي بالشام
لاسترجاع السلطة بمصر ، وكان أول الخلفاء العباسيين
الذين بايعهم بيبرس بالقاهرة هو أبو القاسم أحمد الذى
لقبه باسم (المستنصر بالله) فدعى له على المنابر والسلطان
من بعده ونقش اسمه على العملة مصحوبا باسم الظاهر
بيبرس ولقبه الجديد « قسيم أمير المؤمنين » ولا خلاف
بين كتابة الدنانير والدراهم فى غير ترتيب الكلمات فى
السطور المنقوشة بالخط النسخى الملوكى :

الصالحى

السلطان الملك

الظاهر ركن الدنيا والدين
بيبرس قسيم أمير المؤمنين
(رنك السبع)

الامام المستنصر

أبو القسم أحمد بن
الامام الظاهر أمير
المؤمنين

وبعد مقتل الخليفة أبى القاسم اثناء محاولته
استرجاع سلطان الخلافة العباسية فى بغداد بايع بيبرس
عباسيا آخر بالخلافة هو أبو العباس أحمد الذى تلقب
باسم (الحاكم بأمر الله) وخطب له كذلك على المنابر بمصر
ودمشق ومكة والمدينة والقدس ونقش اسمه مع اسم
الظاهر بيبرس ورنكة . واستقر رأى بيبرس تلك المرة
أن تكون القاهرة هى المقر الدائم للخلافة العباسية فلم
يسمح للخليفة العباسى الجديد « الحاكم » بأية محاولات
لاستعادة الخلافة ببغداد وذلك ليكون الخليفة بالقاهرة
شخصية نافعة يستمد منها بيبرس ما تحتاجه دولة
الممالك من حماية روحية .

ولن تتبع فى هذه الصفحات المحدودة سلسلة
النقود المملوكية واحدة بعد أخرى وانما يكفى أن نعرف

أن نقود مصر المملوكية قد سجلت انتقال الخلافة إليها منذ عهد الظاهر بيبرس فحملت أسماء السلطان صحبة اسم الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة حتى اذا استقر نفوذ الممالك في البلاد نهائيا لم يعودوا يعنون بنقش أسماء الخلفاء العباسيين المعاصرين على نقودهم ، اذ أصبح الغالب في عهد أسرة قلاوون هو أن يحمل وجه العملة اسم السلطان وتاريخ ومكان الضرب بالخط النسخي المملوكي بينما يحمل الوجه الثاني عبارة نصها « لا اله الا الله محمد - رسول الله أرسله بالهدى - ودين الحق ليظهره على - الدين كله) أو عبارة (الله - وما النصر الا من عند - الله لا اله الا الله محمد - رسول الله أرسله - بالهدى ودين - الحق) .

وتتألف النقود المملوكية كغيرها من النقود العربية من دنائير الذهب ودرهم الفضة والفلوس النحاس ، ولكن رغم أن الذهب ظل حتى أوائل عصر الممالك أي في عهد البحرية هو قاعدة النقد ، وعلى أساسه قدرت وحدات النقود الأخرى ، الا أنه خضع لتغيرات متعددة من حيث العيار والوزن والحجم ، فضلا عن تحديد سعره

فى ضوء قانون العرض والطلب ، وتحت رغبة السلطان فى الكسب والاثراء عن طريق ضرب النقود الذهبية لحسابه الخاص . أما لفظ « درهم » فقد استعمل ليعبر أحيانا عن المدلول الأصى للفظ وهو النقود الفضية ، وأحيانا أخرى للدلالة على النقود النحاسية وزنا أو عددا ، وليس من المحتم أن يلتزم لفظ « درهم » وزنا محددا شرعيا للنقد الفضة أو النحاس ولكنه استعمل ليشير الى وحدة نقدية مختلفة القيمة كما كان الحال فى النقود الاسمية التى أطلق عليها « درهم معاملة » .

ورغم أنه حتى نهاية القرن ٨ هـ (١٤ م) ظل ضرب النقود أساسا بالذهب والفضة واحتفظت النقود الفضية بنسبة ثابتة من معدن الفضة النقى ($\frac{2}{3}$ أى ١٩٨٣ جرام) وتراوح صرف الدينار الذهب من عشرين الى ثلاثين درهما ألا أنه فى نهاية هذا القرن وأوائل القرن ٩ هـ (١٥ م) حدث انهيار اقتصادى ، وأخذنا نسمع عن الدراهم الحموية الرديئة التى تزيد نسبة النحاس فى معدنها ، ومنذ سنة ٨٠٠ هـ صار الدرهم لا يحوى أكثر من $\frac{1}{3}$ (ثلث) معدنه فضة وانقطع ضرب

الدراهم النقرة وحلت محلها دراهم البندقية منذ سنة ٨١٨ هـ ، ويقابل هذا التناقص والانحطاط في مكانة النقود الفضية وانكماش مقاديرها ، ازدياد كميات النقود النحاسية في الأسواق حتى أصبح التعامل على قاعدة الذهب والنحاس أى الدنانير والفلوس ، ونشطت حركة تهريب الفضة الى دور السك الأوروبية ، ويشير المقرئ في « شذور العقود » الى هذه الحقيقة في عهد السلطان الظاهر برقوق بقوله « والفرنج تأخذ ما بمصر من الدراهم الى بلادهم وأهل البلد تسبكهـا لطلب الفائدة (١) حتى عزت وكادت تفقد ، وراجت الفلوس راجا عظيما حتى نسبت اليها سائر المبيعات ، وصار يقال كل دينار بكذا من الفلوس . »

وليس معنى ذلك أن الدراهم الفضة لم تكن تضرب أصلا في عهد المماليك الجراكسة بل تقررـت قيمها في حالة سبكها بالنسبة للفلوس النحاسية التي أصبحت هي قاعدة النقد الرئيسية في ذلك العصر . فقد ضرب

(١) يشير القلقشندي في صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٥ الى انها كانت تستغل في عمل السروج والآنية ونحوها .

السلطان برقوق دراهم ظاهرية بمصر سنة ٧٨٩ هـ
(١٣٨٧ م) كما ضرب الأمير نوروز دراهم نوروزية
في دمشق سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) وضرب المؤيد شيخ
دراهم مؤيدية وتداولها الشعب سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م)
وضرب منها أجزاء أهمها النصف مؤيدى ، والحق أن
الدرهم المؤيدى أصبح سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م) نصف
مؤيدى كما يشير الى ذلك ابن تغرى بردى حيث يذكر
أن السلطان أعطى كل مملوك ٣٠ دوكات (دنانير بندقية)
و ٩٠ نصف مؤيدى ، وقدر الدرهم المؤيدى بثمانية عشر
درهم فلوس وكل نصف بتسعة ، وأصبح من الضروري
على كل من يبيع شيئا أن يحمل ميزانا لوزن النقود عند
اجراء المبادلة ، واستمر انحطاط الفضة وأجزائها ،
وتداولها الناس بالوزن لا بالعدد حتى تقرر في
سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧/٨٦ م) في عهد السلطان قايتباى
صرف النصف فضة بأربعة وعشرين فلسا عددا .

والظاهرة الرئيسية فيما يتعلق بالنقود المملوكية أن
الدراهم الفضية تناقصت حتى صارت « عرضا ينادى
عليه في الأسواق بحراج (المزايدة) » وغلبت عليها

الفلوس النحاسية ووجدت السوق المصرية حاجتها من النقود الفضية في أعداد محدودة من الدراهم البندقية والدراهم النوروزية^(١) فتعامل الناس بها وحسن موقعها لبعده العهد بالدراهم « ومن ثم أصبحت النقود المتوفرة في الأسواق فعلا هي الدنانير الذهبية والفلوس النحاسية » .

نقود الممالك الذهبية :

ليس من باب المصادفة أن تندر كميات الذهب المتداولة في مصر منذ أواخر القرن ١٣ م في عهد دولة المماليك البحرية ، ففي ٣١ أكتوبر سنة ١٢٨٤ م - أي في عهد السلطان قلاوون - قرر مجلس شيوخ البندقية ضرب عملة ذهبية خاصة أطلق عليها في أوروبا لفظ دوكات Ducat بينما عرفت في الشرق باسم « بندقى » أو « افرتتى » وقد وصفها مؤرخو مصر المملوكية باسم « الشخصية » نسبة الى صور القديسين

(١) نسبة الى الأمير نوروز نائب دمشق الذى قتله السلطان المؤيد شيخ سنة ٨١٧ هـ

المنقوشة على أحد وجهيها وصورة دوج البندقية على الوجه الآخر ، كما ضربت فلورنسا كذلك عملتها الذهبية التي أطلق عليها اسم « فلورين » وعرفت في الأسواق الشرقية باسم « افلورى » ولكنها لم يكن لها رواج البندقي^(١) وحوالى ذلك الوقت كانت النومزما البيزنطية أى دنانير البيزنطيين الذهبية قد انهارت قيمتها فأُخِلت مكانها للدوكات الايطالية حتى أنه فى سنة ١٣٠٢ م أى بعد ثمانى عشرة سنة من تاريخ ضرب الدوكات البندقية ظهرت هذه النقود فى مصر وأصر جمرك الاسكندرية على دفع القيم بالسبائك الذهبية أو بالدوكات ، ويشير المقرئى فى السلوك وابن تفرى بردى فى النجوم الى انه منذ سنة ٨٠٠ هـ كثر تداول الدوكات فى مصر وغيرها من البلاد العربية وتمتعت

(١) ضربت فلورنسا وكذلك جنوة نقودهما الذهبية سنة ١٢٥٢م كما ان فرنسا وانجلترا ضربتا ايضا نقودا ذهبية سنة ١٢٦٠ م . وللمزيد من المعلومات عن نقود الذهب الأوروبية فى العصر الوسيط انظر

M. Bloch: Le Problem de L'or au moyen âge (Annalesd' Historique Economique et Sociale T, V (1933) Pp. 1-640

بسعر قانونى وأصبحت هى النقد المرغوب فيه فى التجارة الدولية بعامة وفى كل بلاد الشرق بخاصة . وليس غريبا بعد ذلك اذا تسربت كميات كبيرة من الذهب من أسواق الشرق العربى الى ايطاليا لتزويد دور السك فيها بالمعادن اللازمة لضرب الدوكات والفلورين وقد جهدت المدن الايطالية فى اجتذاب الذهب بأسعار مغرية لتغمر الأسواق التجارية بنقودها الذهبية الرائجة .

ولعل من أهم عوامل انتشار دوكات البنادقة على وجه التحديد فى مصر والشام والحجاز واليمن هو دقة سك هذا النوع من النقود الذهبية من حيث استدارة القطعة تماما ووزنها الثابت (٣٤٥ ر جرام) وعيارها البندقى المرتفع بينما يقابل ذلك دنانير « مملوكية » معاصرة ليس لها عيار أو وزن ثابت أو سمك أو قطر محدد ، ولذلك كان من السهل على التجار عند التعامل استلام الدوكات بالعدد بدلا من الدنانير المملوكة التى كان يضطر المتعاملون بها الى وزنها واطافة قطع ذهبية أخرى لاستكمال الوفاء عند الدفع .

وقد أزعج هذا الهجوم النقدى للدوكات الذهبية

على الدنانير المملوكية ، أزعج السلطان فرج بن برقوق في أوائل عهد المماليك البرجية مما جعله يجرب سنة ٨٠٣ هـ ضرب دنانير بوزن مشقال تماما (٢٥ رء جرام) كى يتلافى الالتجاء الى الوزن عند الدفع وأشرف على هذا النوع من النقود وزيره يلغا السالمى فسمى الواحد من هذه الدنانير « بالسالمى » رغم أنه جعل فى وسط كل دينار دائرة نقش فيها اسم « فرج » غير أن هذه العملة الجديدة لم تلبث أن تطرق اليها الفساد فيحدثنا القلقشندى عن وزنها المضطرب الذى أصبح يعادل نصف أو ربع مشقال « وكأنهم جعلوا نقصها نظير كلفة ضربها » ولذلك اختفت هذه الدنانير المملوكية بعد ثمانى سنوات من ضربها ولجأ السلطان فرج الى ضرب عملة ذهبية أخرى منذ سنة ٨١٠ هـ ولكنها لم تكن كذلك بوزن ثابت باستمرار ، فيشير المقريزى فى خطظه الى نقص عيارها ووزنها (٣٥٤ رء جرام) فلم تقوى على منافسة الدوكات البندقية ولم يقبل الصيارفة صرفها دون وزن ، وانحطت قيمتها فى الأسواق الحرة عن قيمة البندقى ، ولم تنفع فى تثبيت التعامل بهذه الدنانير المملوكة وغيرها

من الدنانير التي ضربت بعد ذلك ، تلك الأوامر التي أصدرها سلاطين المماليك الجراكسة لسحب النقود الإيطالية من ضرب البندقية وفلورنسا من التعامل ، وظل صرف نقد الذهب المصرى المختوم أو المسكوك غير ثابت « فيعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما يقتضيه الحال » على حد قول القلقشندى وفى نفس الوقت غمرت الأسواق المصرية نقود كثيرة زائفة من ضرب « الزغليين » تسببت فى ضعف الثقة فى النقود المملوكية رغم العقوبات التى فرضها المماليك على هؤلاء القوم ، ورغم دقة المحتسبين فى التفتيش على الأسواق وقص الدنانير الزائفة لأبطال التعامل بها نهائيا . ولإعادة الثقة الى النقود المملوكية لجأ السلطان برسباى الى تشجيع البنادقة على سك نقودهم الأفرتية فى دار السك السلطانية بالقاهرة كتمصير للنقود الإيطالية الرائجة فى الأسواق وقد نجح فى ذلك فضربت الدنانير الأشرفية بنفس وزن الأفرتية (٣٤٥ رهم جرام) وأصدر أمره سنة ٨٢٩ هـ (١٣٢٥ م) بإبطال التعامل بالدنانير المشخصة من الدوكات « بسبب صور الكفار عليها » وأحلال

الأفلورية الأشرفية ضرب القاهرة محلها والحق أن
برسبای قام فيما بين ٨٢٩ هـ و ٨٣١ هـ بمجهودات
موفقة لاصلاح النقود الذهبية العربية لذلك كانت
معاملته كما يقول ابن اياس « من أحسن المعاملات من
أجود الذهب والفضة ولا سيما الأشرفية البرسيهية
فانها من خالص الذهب والى الآن يرغب اليها الناس في
المعاملات » وقد سار جقمق ٨٤٢ — ٨٥٦ هـ (١٤٣٨ —
١٤٥٢ م) على سياسة برسبای في تمصير الدنانير
الأفلورية حتى اننا نقرأ في بعض وثائق العصر المملوكى
اشارات كثيرة الى هذا النوع من الدنانير الظاهرية
المنسوبة الى الظاهر جقمق المسكوكة من « الذهب العين
المصرى المختوم الظاهرى » الذى يزن من ٣ر٤٠ جرام
الى ٣ر٤٣ جرام .

غير أن كميات الذهب رغم تلك الاصلاحات النقدية
قل تدفقها الى الأسواق المصرية بسبب احتكار سلاطين
الممالك الجراكسة للتجارة الرئيسية من الفلفل والبهار
ويشير بعض المؤرخين الى أن شحنة البهار التى كان
ثمنها فى القاهرة ٥٠ ديناراً كانت تباع فى الإسكندرية

للأوربيين بمائة وثلاثين ديناراً تصل كلها إلى جيوب
وخزائن سلاطين المماليك دون غيرهم . وإذا كان حجم
السلع المتبادلة بين مصر والبندقية قد زاد زيادة ملحوظة،
ألا أن هذه الزيادة لم يقابلها زيادة في المعادن النفيسة
وخاصة الذهب ، ولم تسد النقود الإيطالية الفضية
هذا النقص لأن معظم مدن الشرق العربي سواء في
مصر أو الشام رفضت التعامل بعملة البنادقة الفضية ،
ولم تقبل غير الدوكات الذهبية وتسبب عن ذلك نزول
سعر الفضة في البندقية وزيادة الاقبال على الذهب ، حتى
أن كميات النقود الذهبية المتداولة في الشرق العربي
لم تعد تلبي طلبات الدفع الفوري ، ولا جدال في أن
التجارة الخارجية كانت من أكبر موارد الذهب لمصر
المملوكية وخاصة بعد أن نضبت مناجم الذهب في البلاد
أو كادت ولم يعوضها تبر السودان وبلاد التكرور .
وعلاجاً لقلّة الذهب في مصر لجأ سلاطين المماليك
الجراكسة إلى عقد معاهدات مع البندقية التي أضحت
« ملكة الذهب في العالم المسيحي » لتشجيع هجرة
رؤوس أموال البنادقة إلى مصر والأكثر من النقود

الذهب بوجه خاص في سوق التجارة المصرية تحت شروط معاهدة عقدت منذ ١٣٤٥ م خصت الذهب الذي يأتي به التجار البنادقة بضريبة جمركية تقل كثيرا عن الضريبة المفروضة على السلع الأخرى كما أنها فرضت ضريبة خاصة على السبائك الذهبية اذا أعطاها أصحابها من التجار لدار السك لتضرب فيها دنانير عربية مملوكية وقدرت هذه الضريبة بـ ٢٪ فقط في حين أن الضريبة على السلع المستوردة قدرت بـ ١٠٪ .

ولم يكن هناك مناص وقد أخذت كميات الذهب رغم تلك التسهيلات في التناقص أن لجأ الممالك الى نظام المقايضة وهو نظام اشتد نشاطه منذ القرن ١٥ م . وقد أدى هذا النشاط الى اضطراب النقود المملوكية بقدر ما قلل من تدفق الذهب على الشرق العربي حتى أواخر عصر الممالك فترى السلطان الغورى مثلاً وهو الذى تسلم العثمانيون الشام على رفاقته ، نراه يفاوض البندقية لاستبدال النحاس بالتوابل سيما وأن البنادقة قد قل استبدالهم لهذه السلع من مصر بعد اكتشاف طريق الرجاء وحتى ما كان يتم استبداله في الاسكندرية

أو في موانئ الشام كانوا يمتنعون عن دفع ثمنه ذهباً.
والخلاصة أن قلة الذهب بمصر في عصر المماليك
الجراكسة وعجزه عن تلبية طلبات الدفع ، أدى الى
قيام نظام التجارة بالمقايضة ، ويضاف الى قلة الذهب
اعتبارات أخرى إدارية ساعدت على تنشيط المقايضة ،
إذ كان التجار الأوربيون يخضعون لقيود شديدة
فرضتها عليهم حكوماتهم ، إذ حرمت عليهم الاستدانة
أو الاقتراض أو البيع والشراء بالأجل أو المشاركة مما
اضطرهم الى الالتجاء الى المقايضة رغم ما صاحبها من
عيوب ، إذ كان للتجار المصريين حق الرجوع عن
الصفقة في حالة ارتفاع أسعار السلع المبادلة بها ، كما
أن ثمن التوابل كان دائماً يزيد في حالة المقايضة عما إذا
دفع الثمن نقداً .

ويجدر بالذكر أن نظام المقايضة لم يقض على نظام
التجارة بالنقد تماماً ففي مؤلف Paxi المعروف باسم
« التعريف والمقاييس » الذي طبع لأول مرة سنة ١٥٠٣م
إشارات الى أنواع السلع التجارية المملوكية (في القرن
١٥ م) التي خضعت لنظام المقايضة والنقد فكان

« الحمل الاسكندراني من الفلفل يزن خمسمائة رطل
فرفورى ويشترى فى الاسكندرية نقدا أو مقايضة
بسلع متعددة كالفضة وقوالب النحاس وسبائك
القصدير والرصاص والصابون الأبيض والشمع
والمصطكى الخيوسية كما أنه يقايض أيضا بأكولات
كثيرة كالزيت بأنواعه وعسل النحل وعسل السكر ولوز
أبوليا وپرونسة والقسطل وبنديق مملكة نابلى وفواكه
أخرى ويعطى كذلك قنطار من هذه السلع مقابل الحمل
الواحد من الفلفل (١) » .

الفلوس الملوكية :

يذكر المقرئى فى « اغاثة الأمة » نصا يفهم منه أن
ابتداء ضرب الفلوس بمصر كان فى عهد السلطان الكامل
الفلوس هى النقد النحاس الذى عهدنا ضربه بمصر
فى أيام الكامل الأيوبى بعد أن لم تكن « والواقع أن
الفلوس هى النقد النحاسية الذى عهدنا ضربه بمصر
قبل الفتح الاسلامى وبعده وقد سبقت الإشارة الى

(١) انظر توفيق اسكندر : نظام المقايضة فى تجارة مصر
الخارجية (مجلة الجمعية التاريخية سنة ١٩٥٧م) ص ٤٦

أنواع كثيرة من الفلوس المصرية في فجر الاسلام ، ومن ثم لا يمكن التسليم بأن الفلوس لم تكن توجد بمصر قبل عصر الأيوبيين ، والصحيح أن الكامل قام باصلاح النقد المصرى كله من ذهب وفضة ونحاس كذلك وحدد سعر الدرهم الكاملى الفضة بثمانية وأربعين فلسا من النحاس ، ومنذ عهد الكامل « تتابع الملوك في ضربها حتى كثرت في الأيدي » وفي سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أى في بداية العصر المملوكى سول بعض الأمراء لسلطين المماليك حب الفائدة فضمن ضرب الفلوس بمال قرره على نفسه وجعل كل فلكس يزن مثقالا والدرهم يقدر بأربعة وعشرين فلسا ولم تكن الفلوس حتى ذلك التاريخ يشتري بها « شئ من الأمور الجليلة وانما هى لنفقات البيوت ولأغراض ما يحتاج اليه من الخضر والبقول ونحوها » الى أن كانت سلطنة العادل كتبغا فضربت فلوس خفيفة الوزن سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) وتقرر لأول مرة أن توزن الفلوس عند التعامل وأن يكون زنة الفلوس درهم وحدد الرطل من هذه الفلوس بدرهمين فضة « وكان هذا أول ما عرف بمصر من

وزن الفلوس والمعاملة بها وزنا لا عددا « فقد ترتب على ذلك أن أغلق الباعة حوانيتهم مما حمل والى القاهرة الى استعمال العنف معهم بضربهم بالمقارع وتشهيرهم ليعودوا الى بيع بضائعهم للجمهور مقابل الفلوس وزنا ، وقد حاول السلطان الناصر محمد بن قلاون علاج هذه الحالة بأن ضرب فلوسا جددا زنة كل فلس منها درهم وعلى أحد وجهي الفلس بالخط النسخي المملوكي « لا اله الا الله محمد رسول الله » وعلى الوجه الثاني اسم السلطان داخل بقبحة مربعة ونودي في القاهرة أن يكون التعامل بالفلس الذي عليه بقبحة وأن ترد الفلوس الخفيفة الوزن الى دار الضرب . وفي سنة ٧٥٩ هـ في سلطنة الناصر حسن بن قلاون ضربت فلوس عبر عنها « بالجدد » زنة كل فلس منها مثقال (٢٥ رء جرام) ثم تناقص مقدارها حتى كادت تفسد وقد بقيت هذه الفلوس في التعامل حتى عصر القلقشندي وذكر طريقة سكها وهي أن يسبك النحاس الأحمر حتى يصير كالماء ثم يخرج فيضرب قضباناً ثم يقطع قطعاً صغيرة ثم ترصع وتسك بالسكة السلطانية فيكتب

عليها اسم السلطان ولقبه على وجه وعلى الوجه الآخر
اسم مكان الضرب وتاريخه .

فلما كانت أيام الظاهر برقوق سنة ٧٨٤ - ٧٩١ هـ
(١٣٨٢ - ١٣٨٩ م) تولى محمود بن على الاستادار
أمر الأموال السلطانية فشره الى الفوائد وتحصيل
الأرباح فأكثر من ضرب الفلوس التى كثيرا ما كانت
تخلط عند الوزن برءوس المسامير وقطع الرصاص
والنحاس وبعث هذا الاستادار الى أوربا لجلب النحاس
الأحمر وضَمِن دار الضرب بالقاهرة بجملة من المال
واتخذ بالاسكندرية دارا لسك الفلوس فكثرت الفلوس
بأيدي الناس كثرة بالغة « وراجت رواجاً صارت من
أجله هى النقد الغالب فى البلد » واستمرت الفلوس
تتكاثر حتى غمرت الأسواق وأصبحت هى النقود
القانونية فتنسب اليها المبيعات وقيم الأعمال كلها
وقُدِّر الدينار الذهب على أساسها فبلغ سعره فى
القاهرة مائة وخمسين فلساً بينما فى الاسكندرية وهى
مركز الحركة التجارية فى العصر المملوكى بلغ الدينار
ثلثمائة فلس .

وفي سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) والسنوات التالية
استمرت الزيادة في ضرب الفلوس المملوكية بسبب
زيادة استيراد النحاس من أوروبا ولكن وزن الفلوس
نقص الى الثلث ورغم ذلك كان السلطان المملوكي يقرر
سعرا مرتفعا للفلوس النحاسية الجديدة « بينما ينادى
على التي قبلها بالرخص فتشترى لدار الضرب وتضرب ،
ثم بعد أيام تعاد الفلوس العتق قبلها الى الميزان » كما
حدث مثلاً في سنة ٨٠٧ هـ وفي هذا خسارة محققة
لأصحاب الثروات ، اذ بينما كانت ثرواتهم من الفلوس
النحاسية ذات القوة الشرائية المرتفعة والمقدرة على
أساس العدد نراها بعد ذلك القرار تنخفض قيمتها
وقوتها الشرائية فيتدهور المركز الاقتصادي لأصحاب
هذه الثروات ، ولا يخفى علينا ما في هذه التقلبات غير
المتوقعة في القوة الشرائية للنقود ، من اخلال بالعدالة
الاجتماعية بين الناس لما يترتب عليها من اعادة توزيع
الثروة والدخل الحقيقي بطريقة عمياء ، وقد كان
ابن اياس على حق حين علق على انخفاض الفلوس العتيقة
سنة ٧٨٩ هـ (١٤٧٥ م) « بأن الناس قد خسروا بهذا

التسعين ثلث ثرواتهم من النقود « ولم يطرأ على المركز النقدي للبلاد أى تحسن حتى آخر عصر المماليك فترى فى عهد الغورى مثلاً فى صفر سنة ٩٠٧ هـ أن الأسواق تتعطل من البيع والشراء بسبب الفلوس التى ضربها هذا السلطان وهى « تخسر فى المعاملة الثلث » وفى شهر رجب من نفس السنة ضرب السلطان فلوساً جديداً نقش عليها هيئة شباك فوقف أمر الفلوس التى كانت قبل ذلك « وصارت السوق لا تأخذ إلا الفلوس التى منقوش عليها الشباك فوقف حال الناس وصارت البضائع تباع بسعيرين بسعر من الفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق » وفى سنة ٩١٨ هـ أى قبل نهاية العصر المملوكى بأربع سنين قرر القاضى المحتسب أن تكون الفلوس الجدد والعتق بالميزان على حساب الرطل بنصفين فوقف حال الناس بسبب ذلك . والواقع أن عصر الغورى الذى جاء فى ختام عهد الجراكسة شهد أقصى حدود الاضطراب فى النقود حتى علق أحد المؤرخين على نقوده بأنها « أنجس المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل صرفها ولا يجوز فى ملة من الملل » .

والخلاصة أن عصر الماليك الجراكسة يمكن أن تطلق عليه « عصر النحاس » ، إذ أن الفلوس في هذه الفترة كثرت كثرة بالغة حتى صارت المبيعات والأجور كلها تنسب الى الفلوس خاصة ، وقلت لذلك كميات الذهب المتداولة ، ولم يخف على مؤرخنا المصرى المقرئى هذه الظاهرة الاقتصادية الهامة وهى « أن النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق » والمقصود بالنقود الرديئة هنا النقود التى تقومها الدولة بأكثر من قيمتها فى السوق العالمية كسلعة أما النقود الجيدة فهى نقود المعدن المقوم قانونا بأقل من قيمته التجارية كسلعة ، وهذه القاعدة تعرف عند الاقتصاديين المحدثين « بقانون جريشام » نسبة الى الاقتصادى البريطانى الذى عاش فى القرن ١٦ م أى أن المؤرخ العربى قد سبقه فى إيضاها بمائة سنة تقريبا ، وقد استطرد المقرئى فى توضيح أثر الأسراف فى اصدار الفلوس واستخدامها ، موضحا أثر التضخم فى حالة طبقات المجتمع ، فذكر أن الأفراد ذوى الدخل المحدود الثابت هم الذين يتأثرون تأثرا كبيرا بهذا التضخم ، واقترح حلا لهذه المشكلة الاقتصادية التى تسببت عن

رواج الفلوس بهذا الشكل في عصر الجراكسة العودة
للتعامل بالذهب والفضة كأساس للتداول ، أما الفلوس
فيجب أن يقتصر صرفها في « محقرات المبيعات » أى في
الصفقات التجارية البسيطة ومن ثم تهبط الأسعار لأن
كمية النقود المتداولة بعد استبعاد الفلوس النحاسية من
الصفقات الكبيرة ستقتصر على وحدات أقل من الذهب
والفضة وتصبح الفلوس نقودا مساعدة وحسب .

نقودنا في العصر التركي

وضع الأتراك العثمانيون أيديهم على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ونظام النقد على ما رأينا من فوضى العصر المملوكي ، وقد كان طراز النقود العربية في عصر المماليك ، بما تضمنه من شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ، من بين الأسس التي بنى عليها السلطان سليم الأول عدوانه على مصر ، مدعيا أنه وقف عند حد الشرع الشريف في حربه مع الدولة المملوكية ، فقد استفتى المفتي على جمالي أفندي في مسائل ثلاث أوردها المؤرخ النمساوي همر Hammer في كتابه « تاريخ الدولة العثمانية » يهمنها السؤال الثالث :

« اذا كانت أمة (يقصد المماليك) تنافق في احتجاجها برفع كلمة الاسلام ، فتنقش آيات كريمة على الدنانير والدراهم مع علمها بأن النصارى واليهود يتداولونها هم

وبقية الملاحدة من أهل الأهواء والنحل ... فيدنسونها
ويرتكبون أفظع الخطايا بحملها معهم اذا ذهبوا الى محل
الخلاء لقضاء حاجاتهم ، فكيف ينبغي معاملة هذه الأمة ؟
فأجاب المفتي بأن هذه الأمة اذا رفضت الاقلاع عن
ارتكاب هذا العار جاز ابادتها . والحق أنه كما يقول
d'ohsson تعليقا على هذه الفتوى « أن فظاعة الجواب
لا يضاهيها شيء سوى حماقة السؤال » .

اذ أن النقود الاسلامية منذ تعريبها وهى تحمل شهادة
التوحيد والرسالة المحمدية وآيات من القرآن الكريم ولم
يحتج على ذلك أحد من الغيورين على الدين قبل السلطان
سليم كما لم تكن مصدر فتوى لتحليل الحرب ضد من
يضرب مثل هذه النقود من الدول الاسلامية .

ورغم أن العثمانيين قد أبادوا الدولة المملوكة فعلا
وأزالوا من كتابات النقود العربية شهادة التوحيد والرسالة
المحمدية والآيات القرآنية واستبدلوها بالألقاب الفخرية
للسلطان العثماني مثل : ضارب النصر ، صاحب العز
والنصر ، فى البر والبحر أو سلطان البرين (بر آسيا
وأوروبا) وخاقان (رئيس) البحرين (المتوسط والأسود)

الا أنهم رغم هذا كله لم يأتوا بأية اصلاحات لأنظمة النقود بل أن قيم العملة العربية أصبحت عرضة للتغيير المتتابع بحيث « يمكننا أن نعدد ما لا يقل عن ٢٤ تعديلا مختلفا لسعر المبادلة ، وتحديد قيمة العملة الذهبية والفضية والنحاسية ، وذلك كله في أثناء حكم أول الولاة العثمانيين » ولم يكن هذا التعديل دليلا على سهر الحكومة العثمانية على مراقبة النظام النقدي في البلاد ، بل كان في الحقيقة اجراءً يراد به ما يعود على بيت المال من الفائدة بجعل سعر المبادلة في مصلحته ، وكسب الفرق بين قيمة النقود الاسمية وقيمتها الحقيقية، وكثيرا ما لجأ الأتراك وقت ارسال الجزية السنوية من مصر الى استانبول الى تخفيض قيمة النقود المتداولة مما كان سببا في زيادة عبء الضرائب عما كان عليه بل اذا ما عجزت مالية الدولة العثمانية يوما عن الوفاء بالتزامات الحروب ، لجأ السلطان الى توزيع النحاس على الشعب بالقوة لاستبداله منهم بنقود الذهب .

ويمكن أن نعتبر النقود المصرية منذ فتح السلطان سليم للبلاد نقوداً تركية بكتابات عربية ، فقد ارتبطت

أشكالها وقيمها بالأوامر العثمانية حتى قوالب السك
نفسها التي تضرب بها هذه النقود كانت ترد من
استانبول وتسلم الى أمير الضربخانة المصرية لسك
نقودنا العربية عليها ، ولم يكن في وسع الشعب أن
يتخذ أية وسيلة للاحتجاج على هذا الوضع غير
الاضراب أحيانا عن البيع والشراء ، فقد حدث مثلا
أن ضرب السلطان سليم فلوسا أشار اليها ابن اياس في
كتابه « بدائع الزهور » بأنها في « غاية الخفة فوقف
حال الناس بسبب ذلك وحصل لهم الضرر الشامل
وغلقت الدكاكين » .

ويعتقد الأب انستاس الكرملى أن أول نقود
العثمانيين في مصر هي « الخيرية » التي ضربت من
الذهب وأطلق عليها هذا الاسم نسبة الى خير بك أول
ولا تهم في مصر ، ولقبها العامة باسم « خرية » ولكن
الواقع أن السلطان سليم ضرب أولا نقودا ذهبية
أطلق عليها اسم « سلطاني » أو « أشرفى » وهو امتداد
للفظ « الأشرفى » الذى ألفه الشعب منذ عهد المماليك
أما « خيرية » فقد أطلقت على نقد ذهبى آخر ضربه

الأتراك منذ عهد السلطان محمود الثاني وسمى بهذا
الاسم نسبة الى تعبير « تنظيمات خيرية » الذى بدىء
باستعماله فى عهد هذا السلطان .

وقد ضرب السلطان سليم كذلك نقودا ذهبية
أطلق عليها « زر محبوب » أى « الذهب المحبوب ^(١) »
نقش على وجهها الكتابات العربية الآتية :

ضارب النضر

صاحب العز والنصر

فى البر والبحر

سلطان سليم شاه بن

بايزيد خان عز نصره ضرب

فى مصر

وظل هذا النوع من النقود يتداول بديلا للدنانير
العربية وتسجل عليه أسماء سلاطين آل عثمان منذ

(١) ليس صحيحا ما ذكره الكرملى من أن (محبوب) اسم
أحد المماليك سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩م) النقود العربية ص ١٧٥
وص ١٨٤

عهد سليم فأخذنا نسمع عن « محبوب سليمى » نسبة
لسليم « ومحبوب مصطفىاوى » نسبة الى مصطفى الثانى
وهكذا ، وكثيرا ما كان ينقش اسم السلطان على وجه
النقد فى هيئة ظفراء عثمانية بدلا من الكتابة النسخية
فى سطور متوازية ولذلك أطلق على هذا النوع من
النقود أحيانا اسم « طغراالى التون » أى النقد الذهبى
ذو الظفراء أى الطرّة وقد شاع استعمال هذا النوع
من النقود فى كل بلاد العالم العربى التى استولى
عليها العثمانيون لارتفاع عياره وجمال نقشه حتى
تزينت به النساء فيعلقونه فى أعناقهم أو اقراطا فى
آذانهم وكانت قيمته تساوى ٣٧٥ قرشا صاغا . وخير
ما يوضح لنا أنواع النقود التركية التى تداولتها مصر فى
العصر العثمانى ما ذكره مصطفى الذهبى الشافعى فى
جدوله وأهمها : الخيرية ، والمحبوب بأنواعه السليمى
والمصطفىاوى ، والمحمودى ، والعدلية ، وكلها من
الذهب ، والبشلك والتمشلك والأكلك والتلق والقرش
وكلها من الفضة الى جانب نقود أوربية أخرى فى مقدمتها
البندقى والمجر من الذهب والريال الفضة الهولندى

والنمساوى والاسبانى والفرنسى وقد أطلقت على هذه الريالات مسميات كثيرة فى مصر كالريال الحجر والمشط والريال الشنكو والريال الفرانسة . وكل المسميات وغيرها وردت فى كثير من حجج الوقف فى العصر العثمانى فى مصر مما تسبب عنه بعد قانون حل الأوقاف الأهلية كثير من الصعوبات أمام القضاء عند الفصل فى مواد الاستحقاقات أو مواد الفرز والتجنيب التى تستند على تقييم هذه النقود بالعملة الحالية سيما وأن القوة الشرائية لهذه النقود قد اختلفت على مدى السنين منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وقد استدعى هذا منا بذل كثير من الجهد عند تقدير كل نقد يحال موضوعه علينا بمتحف الفن الاسلامى .

والواقع أن النقود الذهبية والفضية التى ضربت فى مصر باسم « الخندكار » (السلطان) جميعها فى غاية العش والفساد على حد تعبير ابن أياس غير أنه يمكن القول بأن مصر منذ أوائل العصر العثمانى سارت على نظام المعدنين فقد ذكر ابن أياس فى حوادث سنة ٩٣٦ هـ

أن « البيع يبعين بيع بالذهب وبيع بالفضة » وقد
أُجبر الناس على هذا النظام قسرا فان ملك الأمراء
(الوالى نادى فى القاهرة فى هذه السنة أن لا يرد أحد
من الناس معاملة الفضة « وكل من ردها شنىق من غير
معاودة) وكانت الفضة يومئذ فى غاية الغش كلها نحاس
فاذا باتت ليلة تنكشف كلها (أى يظهر لون النحاس
المخلوط بها) فكانت الانكشارية تدخل الأسواق وترمى
تلك الفضة النحاس على التجار فكل من رد منها شيئا
تنهب دكانه ويضرب ذلك التاجر حتى يأخذها غصبا رغم
أنفه .

واستمرت سلسلة النقود العثمانية تتداول فى مصر
حتى عصر محمد على سواء أكانت مضروبة فى استانبول
أو فى مصر نفسها ولم يقطع ترابطها غير حادثين أولهما
ثورة على بك الكبير « شيخ البلد » الذى نجح فى
سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) فى الخروج عن طاعة الدولة
التركية والاستقلال بالبلاد وأكد استقلاله هذا بضرب
نقود فضية فى مصر من القروش ذات العشرين ميديا
(مؤيدى أوبارة) وسميت عشرينية وجعل على أحد

وجهيها طغراء باسم السلطان العثماني المعاصر وهو مصطفى الثالث ونص كتابتها « سلطان مصطفى بن أحمد خان عز نصره » وعلى وجهها الآخر نقش عبارة « ضرب في مصر سنة ١١٨٣ هـ » مع استغلال حرف الباء في كلمة (ضرب) باستخدامه كياء راجعة لكلمة « على » التي سجلها على قروشيه كما ضرب على بك قروشا أخرى فضية من فئة أربعين ميديا ونقش على وجهها كذلك طغراء باسم السلطان مصطفى الثالث وعلى الوجه الثاني اسمه ومكان وتاريخ الضرب (مصر سنة ١١٨٣ هـ) .

وهكذا نرى أن على بك الكبير رغم ثورته على الدولة العثمانية لم ينفرد بالسلطة إذ كان لا يزال يعترف بشرعية سيادة السلطان العثماني حتى أنه أثبت اسمه في طغراء خاصة على وجه قروشيه ، ولم تستمر حركة على بك طويلا على أي حال ، فقد قضت عليها الدولة العثمانية وتولى مشيخة البلد بدلا عنه محمد بك أبو الذهب فنأدى بإبطال قروش على بك بأنواعها ، فخسر الناس خسارة عظيمة من أموالهم « وباعوها

بالأرطال للسبك واقتصر على ضرب الأنصاف العددية
والمحبوب والزر والنصفيات لا غير ، وتقصوا وزنها
وعيارها وتقست قيمتها وغلت في المصارفة أكثر من
الضعف لتغافل الحكام وتوالى الحوادث والمحن والغلاء
والغرامات .

أما الحادثة الثانية التى قطعت سلسلة التداول
للقود العثمانية فى مصر هى وصول حملة بونايرت الى
مصر والاستيلاء عليها سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) فأعاد
نابليون تشغيل الضربخانة المصرية فى القلعة تحت اشراف
الفرنسيين وقد كانت النقود العربية وقتذاك احياء
للقروش المصرية فى عهد على بك ويذكر Samuel Bernard
فى كتاب وصف مصر (ج ١٦ ص ٢٩٢) أن هذه النقود
الجديدة التى ضربها الفرنسيون كانت مقبولة فى السوق
التجارية .

نقود عهد أسرة محمد علي

كانت النقود المصرية في أول عهد هذه الأسرة خليطا من العملة التركية ضرب القسطنطينية أو غيرها من دور السك العثمانية ، وبعض العملات الأجنبية ومجموعات من النقود المصرية على الطراز التركي حدد أنواعها فرمان خاص صدر سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٦ م) وقصرها على المحبوب ونصفه وعملات أخرى مساعدة من النحاس ، وتذبذبت أسعار هذه النقود كلها بين الحين والآخر ويكفي أن نشير هنا الى ما ذكره الجبرتي في هذا الصدد من أن « المعاملة فحش نقصها جدا خصوصا الذهب البندقي الذي كان أحسن أصناف العملة في الوزن والعيار والجودة فان العسكر تسلطوا عليه بالقص ، فيقصون من الشخص الواحد مقدار الربع أو أكثر أو أقل ويدفعونه في المشتريات ولا

يقدر التاجر على رده أو طلب ارش تقصه ، وكذلك الصيرفي لا يقدر على رده أو وزنه . وقتل بذلك قتلى كثيرة وأغلق الصيارف حوانيتهم وامتنعوا من الوزن خوفا من شرهم ... وكانوا يأخذون الريالات الفرنسية الى دار الضرب ويسبكونها ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاسا ويضربونها قروشا يتعاملون بها ثم ينكشف حالها بعد مدة يسيرة وتصير نحاسا أحمر من أقبح المعاملات شكلا لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التي كانت تصرف بالأرطال في الدولة المصرية السابقة (الملوكية) في الكم والكيف .

وهكذا اضطربت المعاملات فلجأت حكومة محمد علي الى اصدار تسعيرة رسمية للنقود سنة ١٨٠٨ م بعد صدور فرمان سلطاني يمنع « تعلية أو نقص » قيمة النقود الذهبية والفضية عن مثيلاتها في الآستانة وقدّر البندقي الذهب بثمانية قروش والمحسوب الاسلامبولي بستة والمحسوب المصري بخمسة والقرش الواحد بأربعين بارة أو نصف فضة ورغم ذلك استمر نظام النقد مضطربا حتى أصدر محمد علي دكريتو

سنة ١٨٣٤ كمحاولة لأصلاح العملة فاتبع نظام المعدنين رسميا ، وسك نقودا ذهبية وفضية وجعل نسبة المبادلة بين المعدنين ١ : ١٥,٥ ، أى أن الوزن من الذهب قررت له قيمة تعادل ١٥,٥ مثيلا من الفضة ، واحتكرت حكومة الباشا سك النقود فهي التى تصدر قطع العملة، وهى التى تستولى على أرباح دار الضرب ، فقد حدث مثلا أن سمع محمد على بوسيلة رائجة فى أعمال الصيرفة تتعلق بالريال الفرنسة الذى يساوى فى مصر ٣٦٠ نصف فضة أى ٩ قروش ، بينما كان يقدر فى الشام بثلاثمائة نصف فقط ، فكان يرسل الى وكلائه بالشام ألف كيس شهريا من أنصاف الفضة ليأتوه بدلا منها رياتل فرانسة ، يضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاسا ويضربها فضة عديدة « فيربح فيها ربعا عظيما » على حد قول الجبرتنى. وكانت وحدة النقود المصرية قطعة ذهبية قيمتها عشرون قرشا وأخرى من الفضة ذات عشرين قرشا وزنها أكثر من الذهب بمقدار ١٥,٥ مرة وذلك تبعا للنسبة المتعامل بها فى أوروبا وقتئذ ، ولم تكن النقود المصرية المحدودة كافية لسد حاجة السوق التجارية

المحلية أو الخارجية ، مما أدى الى تداول النقود الأجنبية بكثرة لذلك حدد لها « محمد على » أسعارا رسمية ، وجعل وحدتها الريال النمساوى المسمى « أبو طاقة » وحدد قيمته بعشرين قرشا كما حدد أسعار الريال الألمانى ، والأسباني ، والأمريكى ، والوييتو ، والجنيه الانجليزى ، والمجر ، والبندقى ، والدبلون ، وجاءت هذه التسعيرة بنتيجة عكسية اذ سبب تحديد قيم هذه العملات الأجنبية زيادة الاضطراب وادخال كثير من النقود الزائفة الى السوق المصرية ، مما زاد فى صعوبات مصر المالية . هذا الى أن صدور أوامر عثمانية فى فبراير سنة ١٨٣٩ نصت على منع تداول المسكوكات التركية القديمة بأنواعها المختلفة والمسكوكات المصرية القديمة والجديدة وكذلك سبائك الذهب والفضة ، أدى الى اختفاء العملة التركية من التداول فى مصر ، فى وقت كانت فيه الضربخانة المصرية قد توقفت عن سك عملة جديدة فعجزت الحكومة عن دفع المرتبات للموظفين مدة تسعة عشر شهرا واضطر الباشا آخر الأمر الى اعطائهم تذاكر بمرتباتهم المتأخرة كان يصرف

بعضها من بيت « توسيعة » Tossiza . بعد خصم ٢٠٪ من قيمتها .

ورغبة في أن يضع الباشا حدا للتلاعب والمضاربات المالية في أسعار النقود ويطمئن على تحصيل الإيرادات وصرفها في مواعييدها ، وافق في ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٥٨ هـ (٢٧ يناير سنة ١٨٤٣ م) على انشاء مصرف مقره الاسكندرية الغرض منه كما قال محمد علي نفسه « تداول المسكوكات على حسب فيئاتها الحقيقية ومنع الحيل المضرة » وكان هذا الاجراء في ذاته اقرارا من حكومة محمد علي بفشل الباشا في الانفراد بشئون الادارة المالية ، وقد أظهرت مقدمة اللائحة التي تأسس البنك بمقتضاها أنه « كثيرا ما اهتمت الحكومة بوضع قاعدة لضبط أسعار العملة المصرية وسائر أنواع العملة المتداولة بالقطر المصرى على حسب فيئاتها المقررة وأوزان العملة القديمة عند استبدالها ، وكذلك كافة أصناف وأنواع المعاملة التجارية ، بالأسعار التي وضعت لها لوائح متعددة ... وأنه لعدم ضبط قيمة المسكوكات وأوزانها وأسعارها فلأجل ازالة هذه الوخامة من القطر

قد عازمت الحكومة على فتح بنك من بنوك الممالك
المتمدنة ويكون له امتياز وسلطة في تسعير العملة سالفة
الذكر والعملة الأجنبية » . وقد أسهمت الحكومة في
أكثر من نصف رأس مال هذا البنك والباقي يدفع من
قبَل أصحاب الامتياز وهما المسيو ميخالي توسييجا
اليوناني والمسيو جولو باستر *pastre* الفرنسي .
وقد استمر خلفاء محمد علي في ضرب نقودهم تحت
شروط الفرمان الشاهاني الصادر من الباب العالي في
٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٥٦ هـ (١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م)
الذي حتم أن تكون النقود المصرية باسم السلطان
العثماني معادلة للنقود المضروبة في ضربخانة الآستانة
من حيث العيار والهيئة والطرز ، والتزم بذلك عباس
الأول ومحمد سعيد واسماعيل وتوفيق فلم تسجل على
النقود العربية التي ضربت في عهدهم — أيا كان
نوعها — اسم واحد من هؤلاء ، ولم يكن يميزها عن
النقود العثمانية سوى الإشارة الى انها « ضرب في
مصر » .

غير أن الفترة ما بين موت محمد علي حتى قيام

الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ تميزت بارتباك النقود في مصر ارتبكا شديدا بسبب رداءة صنعها وقلة ما سك منها ، والتشكك في صحتها ، لما قام به بعض الأجانب المتمتعين بالامتيازات من التزييف في وحداتها ، وزاد الأمر سوءا أن كثيرا من الصيارفة كانوا يتنقلون في القرى والمدن يبيعون النقود الفضية ذات العشرين والعشرة قروش والخمسة في أوقات موسم القطن للفلاحين بأسعار مرتفعة ، حتى إذا ما انقضى الموسم وأخذت قيمة النقود الفضية تقل لعدم الحاجة إليها ، تقدم التجار الأجانب لشرائها من الفلاحين بأقل من أسعارها ، وزاد تدهور مركز النقد العربى في مصر في وقت نشأت فيه مشكلة الديون التى خلفها اسماعيل ، فكلما انخفضت قيمة العملة ارتفعت أسعار السندات وزاد مقدار الدين العام ، وتنتج عن ذلك خسارة مالية كبيرة لاصرار الدول الأجنبية على عدم قبول نقود رديئة مقومة بأقل من قيمتها الاسمية ، مما اضطر مصر الى تصدير كل ما تحصل عليه من نقود جيدة فأفسح ذلك المجال لطغيان الجنيه الانجليزى على ما عداه من أنواع

النقود الأجنبية في أسواقنا المحلية . وبذلك أصبحت الحاجة ماسة الى ايجاد نظام للنقود المصرية يؤسس على وحدة للنقد مع سك نقود مساعدة تحل محل العملات الأجنبية ، وقد حدث فعلا أن بدأت الحكومة المصرية سنة ١٨٨١ تحت المراقبة الثنائية في عصر توفيق في اصلاح النقود وتولت ذلك لجنة خاصة من علماء المال والاقتصاد تعطلت أعمالها خلال الثورة العرابية وما تلاها من حوادث الاحتلال ، فأعيد تأليف لجنة أخرى في ٧ أغسطس سنة ١٨٨٤ تحت رئاسة ناظر المالية و اشراف المستشار المالي البريطاني وعضوية قاضى أفندى وشيخ الاسلام ووكيل المالية وناظر الضربخانة ووكيل ادارة عموم الجمارك ومدير بنك الكريدى بالاسكندرية ، وتولت هذه اللجنة تحديد وحدة للنقود المصرية وبيان أنواع النقود المساعدة ، ووضع شروط سك هذه النقود وعيارها ، واستعانت اللجنة بمديرى دور الضرب في لندن وباريس وينا وألمانيا ، وأخيرا تقدمت بعد عام من البحث باقتراحاتها في تقرير أقرته الحكومة بذكريتو خاص في ١٤ نوفمبر

سنة ١٨٨٥ ، واستقر الرأى على اتخاذ الجنيه المصرى وحدة للنقود ، وتقرر وزنه ٨,٥ جرام من الذهب ، اذ كانت الفضة فى أغلب الدول مستمرة فى الانخفاض حتى اتبعت معظم الدول نظام المعدن الفردى الذهبى ، وتقرر ضرب قطع أخرى من الذهب من ذات الخمسين قرشا والعشرين والعشرة قروش والخمسة ، كما سكت بكثرة نقود فضية مساعدة من ذات العشرين والعشرة والخمسة والقرش والقرشين ونصف وربع القرش لتحل محل النقود الفضية الأجنبية التى اتفق على سحبها من التداول تدريجيا ، وقسم الجنيه الى مائة قرش وقسم القرش الى عشرة ملليمات بدلا من تقسيمه القديم الى أربعين بارة الى جانب النقود البرونزية من ذات النصف والرابع ملليم فأصبح للنقود النيكلية ثلاث وحدات وللنقود البرونزية وحدتان على ألا يجبر أحد من الأهالى على قبول ما تزيد قيمته من هذه النقود النيكلية والبرونزية عن عشرة قروش .

وقد لوحظ أن القطع الذهبية ذات العشرة قروش والخمسة قروش لم يتداولها الناس لصغر حجمها ،

فأصبحت لا تستعمل الا للزينة وتقديمها في مناسبات الأفراح والحفلات ، وأصبحت فيما بعد تسك بناء على طلب خاص من الأفراد نظير رسم قدره ١٥٪ مقابل سكها لهم ، ورأت الحكومة سحب القرش الفضة تدريجيا لصغر حجمه وقابليته للتحفات السريع فحل محله القرش النيكل . والحق أن النقود المصرية نالت نصيبا كبيرا من الاصلاح في ظل دكريتو سنة ١٨٨٥ ، حتى أن النقود الفضية المحلية نجحت في طرد النقود الفضية الأجنبية ، فأعلنت الحكومة أنها لا تقبل في خزائنها أصناف النقود من الريال أبو طاقة ، والريال أبو مدفع ، والريال المجيدى والريال الشنكو ، والفرنك ، والروبية، والشلن ، اعتبارا من أغسطس سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٨٩٨ أنشئ البنك الأهلى المصرى وحصل على امتياز من الحكومة باصدار أوراق البنكنوت على أن يكون نصف ما يصدره مضمونا برصيد ذهبى والنصف الآخر بصكوك تعينها الحكومة .

غير أن قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ هـ (١٩١٤ م) أدى الى اختفاء جزء كبير من النقود الذهبية

والنيكلية والبرونزية اذ اكتنزها الأفراد ، فارتفعت
أسعار الفضة في مصر خلال هذه الحرب وزادت قيمتها
الاسمية وخاصة بعد أن غرق في الطريق مقدار كبير من
النقود الفضية المرسلة الى مصر من دور السك البريطانية
بسبب الغواصات الألمانية ، مما اضطر الحكومة الى
استعمال النقود الفضية الهندية من الروبيات التي كانت
تحتفظ بكميات كبيرة منها في خزائنها وحدد لها سعر
قانوني مؤقت ظل حتى أبريل سنة ١٩٢٠ .

كما أن البنك الأهلي وهو المصرف الوحيد الذي كان
له حق اصدار أوراق البنكنوت من فئة ١٠٠ جنيه وخمسين
وعشرة وخمسة ونصف الجنيه لم يتيسر له نقل الذهب
من أوروبا لتغطية أوراق البنكنوت التي يصدرها فتقرر
أن يكون لهذه الأوراق نفس القيمة التي للذهب ، فكثر
تداوله رغم عدم قبوله للمصرف بالذهب مؤقتا ، ولكن
فرضت الحكومة على هذا البنك أن يودع في بنك
انجلترا ذهباً يكفي لضمان البنكنوت ولم يعدل هذا
النظام الا في سنة ١٩١٦ بقرار خاص أعفى البنك الأهلي
من شرط حفظ الذهب واستبداله بأذونات على الخزينة

البريطانية مستحقة الدفع لآجال قصيرة تدفع بالعملية
الانجليزية وبذلك نجحت بريطانيا في ربط الجنيه المصرى
بالجنيه الانجليزى فى المعاملات والمبادلات .

وفى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) انفصلت مصر عن
تركيا فكان ذلك بداية لاستقلال النقود المصرية وتحررها
من الارتباط بنقود العثمانيين ضرب الآستانة ، ولكن
الضربخانة المصرية عجزت عن سد حاجة السوق من
النقود المحلية فكانت مصر تضرب نقودها فى مدينة
بمباى بالهند أو برمنجهام فى انجلترا باسم السلطان
حسين كامل وذلك على أساس مرسوم صادر فى
١٨ أكتوبر سنة ١٩١٦ بحيث لا يختلف طراز النقود
عما حدده دكرى سنة ١٨٨٥ ، ولكن الطغراء التركية
استبدلت فى معظم القطع باسم « السلطان حسين كامل »
بالخط النسخى المتقن وأسفل الاسم سجل تاريخ توليته
العرش بالهجريه وعلى ظهر النقد سجلت عبارة « السلطنة
المصرية » مع بيان قيمة النقد بالعربية والانجليزية وتاريخ
الضرب بالهجريه والميلادية .

واستمرت نقود السلطنة المصرية تضرب كذلك فى

عهد فؤاد الأول مدة سلطنته الى أن ضربت نقود ذهبية
بدار السك بلندن سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) باسم
(الملك فؤاد) بملايسه الملكية وهى من فئة الخمسة
جنيهات بقطر ٤٠ م — ووزن ٤٢٥ جرام والجنيه الواحد
بقطر ٢٤ م ووزن ٨٥ جرام ونصف الجنيه ضرب
سنة ١٩٢٣ م بقطر ٢٠ م ووزن ٤٢٥ جرام ، وهكذا
تتابعت النقود الملكية بصورة فؤاد الأول على أحد
وجهى النقد الذهبى والفضى وسجلت على الوجه الثانى
بالخط الديوانى عبارة « الملكة المصرية » مع تاريخ
الضرب بالهجريه والميلاديه ولم تكن نقودنا فى عهد
الملكية البائدة تضرب فى مصر بل استمرت تسك فى لندن
أو برمنجهام بانجلترا أو بودابست بالمجر .

نقودنا منذ قيام الثورة

لعله يبدو غريبا حقا أن واحدا من أسرة محمد على لم يأخذ بيد الضربخانة المصرية بالقلعة ويعمل على تزويدها بالآلات اللازمة لها مما كان سببا في زيادة العملة الورقية ، وتخلف الضربخانة عن تزويد السوق المحلية بالنقود اللازمة ، وأخيرا الحقت أعمال دار السك بمصلحة الدمغ والموازن حيث ظلت الى أن أشرقت الأرض بنور الثورة المجيدة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فظهرت الى الوجود دار السك الحالية في أبهى صورة وأعظمها سنة ١٩٥٤ ، ولم يقف نشاط هذه الدار « عند زيادة الانتاج وامداد غير الجمهورية العربية المتحدة بما تطلبه ، بل امتد نشاطها الى تجويد الانتاج وتنويعه وتطويره وتطويعه الى مطالب العصر المتجددة ، وخفض تكاليفه ورفع مستواه الفنى » .

وقد اهتمت حكومة الثورة باصلاح نظام النقود

اصلاحاً شاملاً في ضوء تلك القوانين التي صدرت منذ سنة ١٩٥٣ وكان أولها القانون رقم ٤٢٦ الخاص بتعديل عيار النقود الفضية بعد أن لاحظت الحكومة فروقا كبيرة بين قيمة المعادن الداخلة في صنع كل نوع من النقود وبين قيمتها الاسمية مما يسمح بتحقيق ربح من عملية السك دون ايجاد الضمان الكافي لمنع اختفاء هذه النقود من التداول نتيجة اختزانها أو صهرها لاستعمالها في الأغراض الصناعية والاتجار فيها ، خاصة وقد طرأ - تحت ظروف الحرب العالمية الأخيرة - تغييرات كبيرة على أثمان المعادن المختلفة ، مع ندرة وجود بعضها ، وفي أحيان أخرى كانت تتجاوز قيمة المعادن الحقيقية القيمة الاسمية للنقد مما أدى الى اختفاء شطر كبير من النقود الفضية والنيكلية ، سيما بعد أن اشتد الطلب على معدن النيكل للأغراض الصناعية وأصبح استعماله في سك النقود غير ميسور لندرته وعدم ثبات أثمانه .

وقد رأت وزارة المالية والاقتصاد أن تبحث نظام النقود المصرية بما يتمشى مع ما طرأ من تطور في هذا

المضمار ، لذلك استقر الرأي على أن تقل نسبة معدن الفضة بالنسبة للنحاس في قطع النقود الفضية من فئات العشرين والعشرة والخمسة قروش ويقل حجمها ووزنها كذلك ، بحيث يصبح وزن قطعة العشرين قرشا مساويا لوزن وحجم العشرة قروش المتعامل بها والمضروبة قبل الثورة ، والعشرة قروش تساوى وزن وحجم الخمسة قروش ، كما رأت وزارة المالية والاقتصاد أن عملية سك كميات كافية من النقود الجديدة لتحل محل ما هو متداول من نقود ما قبل الثورة سيستغرق بعض الوقت ، ويخشى أنه لو سحبت النقود المعدنية المتداولة من السوق ، قبل أن يتم سك القدر الكافى من النقود الجديدة ينشأ عن ذلك اضطراب فى السوق قد يؤدى الى اختفاء النقود المعدنية من التداول ، لذلك رأت الوزارة الإبقاء على النقود المتداولة فلا تسحب الا بعد أن تكون قد أطلقت مقادير كافية من النقود الجديدة لتحل محلها، وفى الوقت نفسه أصدرت وزارة المالية تعليمات الى خزائن الحكومة بحبس النقود الفضية التى تدخل اليها وعدم اطلاقها للتداول ، لاعادة سكها بالعيار والوزن

الجديدين للنقود الفضية ، وقد أسفر ذلك عن سك
نقود فضية بدلا عنها تعادل ضعف قيمتها الاسمية على
الأقل دون أن تتحمل الحكومة في ذلك نفقات تتعدى
تكاليف إعادة السك وثن ما أضيف من معدن النحاس.
وتوالت بعد ذلك القوانين والقرارات التي تسمح
بسك نقود تذكارية ، يسمح بتداولها قصد تسجيل
الأحداث الوطنية والمناسبات القومية ، فقد رخص
القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٥ لوزير التجارة والصناعة
بمناسبة الاحتفال بعيد مصر القومي إصدار نقود
تذكارية يحدد وزنها وعيارها ونماذجها وسعرها مجلس
الوزراء ، فسكت قطع نقدية من فئة الجنيه الذهبى
التذكارى بوزن قدره ٨,٥ جرام نقش على وجهه عربية
رمسيس الثانى وعلى ظهره قرص الشمس المجنح مع
تسجيل اسم « جمهورية مصر » ومقدار النقد وتاريخ
السنة الهجرية والميلادية وحدد سعر القطعة بخمسة
جنيهات مصرية^(١) وكذلك سكت نقود من فئة الخمسة
جنيهات ذهبية تذكارية لها نفس طراز الجنيه الذهبى

(١) قيمة القطعة الفعلية ٣ر٦٠٥ جنيها .

التذكاري ، ولكن القطعة تزن ٤٢.٥ جرام وحدد سعر بيعها بخمسين جنيها مصريا (١) ورغم ذلك تهاذت كمياتها بسرعة عجيبة وواجهت الخزائنة العامة طلبات مستمرة من الهواة للحصول عليها مما جعل الحكومة تعيد سكها من جديد سنة ١٩٥٧ .

وفي سنة ١٩٥٦ بمناسبة الاحتفال بعيد الجلاء في ١٨ يونيو سنة ١٩٤٦ رؤى سك نقود فضية تذكارية قابلة للتداول من فئة الخمسين قرشا على أن يكون وزن القطعة ٢٨ جرام وأن ينقش على وجهها فتاة فرعونية ترمز الى مصر وقد حطمت الأغلال التي في يديها وهي تحمل شعلة الثورة ، وعلى ظهر القطعة سجل اسم جمهورية مصر وقيمة القطعة (خمسون قرشا) مع النقش الفرعوني وتاريخ السنة الهجرية والميلادية . وكذلك سكت في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بمناسبة تأميم شركة قناة السويس نقود فضية تذكارية قابلة للتداول من فئة الخمسة وعشرين قرشا وفي ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٧ سكت نقود فضية تذكارية كذلك من فئة (١) قيمة القطعة الفعلية ١٨.٢٤ ر. ١٨ جنيها .

الخمسـة وعشرين قرشا بمناسـبة افتـتاح مجـلس الأـمة . وفـي
سنة ١٩٥٨ صـدر القـرار رقـم ١٠٧٠ يـخول لوزـير الخـزانة
اصـدار نقـود ذهـبية تـذكارية من فـئة نصـف الجـنيه بوزن
قـدره ٤,٢٥ جـرام بمناسـبة قـيام الجـمهورية العـربية
المتـحدة .

أما القـطع البرونـزية التـذكارية من فـئة العـشرين مـليما
فقد صـدر بشأنها قـرار جـمهورى خاص بمناسـبة افتـتاح
سوق الاتـاج الصـناعى والزراعى فى ديسـمبر سنة ١٩٥٨
وتزن القـطعة الواحـدة ٥,٧٥ جـرام ونقش على وجهـها
رمز الصـناعة والزراعة وعـبارة « تـذكـار سـوق الاتـاج
الصـناعى والزراعى بالقـاهرة » وعلى الظـهر سـجل
اسـم الجـمهورية العـربية المتـحدة وقيمة النـقد وتاريخ
السـك بالهـجرية والمـيلادية .

وبمناسـبة العـيد الأول لقـيام الجـمهورية العـربية
المتـحدة صـدر قـرار جـمهورى سنة ١٩٥٩ يرخص لوزـير
الخـزانة سـك نقـود فضـية تـذكارية من فـئة العـشرة قـروش
قابـلة للتداول بوزن ٧ جـرام للـقطعة وقطر ٢٧ مم وعلى
وجهـها نقـش شعار الجـمهورية العـربية المتـحدة وعلى

الظهر تذكّار قيام الجمهورية العربية المتحدة ٢٢ فبراير
سنة ١٩٥٨ مع بيان السنة الهجرية والميلادية .

وبمناسبة البدء فى تنفيذ السد العالى ضربت نقود
ذهبية تذكارية من فئة الخمسة جنيهات بوزن قدره
٤٢,٥ جرام وقطر ٣٧ مم ونقش على الوجه رسم يمثل
السد العالى وعبارة «تذكّار تنفيذ السد العالى بأسوان»
وعلى الظهر نقش النسر الفرعونى وعبارة «الجمهورية
العربية المتحدة» وقيمة النقد وتاريخ السك بالهجريّة
والميلادية وحدد سعر القطعة بثلاثين جنيها كما سكت
نقود أخرى ذهبية من فئة الجنيه عليها نفس النقش
والكتابات الزخرفية بوزن قدره ٨,٥ جرام للقطعة وقطر
٢٤ مم وحدد سعرها بستة جنيهات .

هذه هى نقودنا منذ قيام الثورة حتى اليوم وجلها
نقود تذكارية لا تحمل صور الملوك ولا أسماءهم ، بل
تحمل صور الآثار المصرية التى ترمز للأصالة والخلود ،
مثل أبى الهول والشمس المجنحة ، أو تحمل شعار
الاتّاج الصناعى والزراعى ، أو رمز التحرير والحرية ،
أو صورة السد ذلك الصرح المجد الذى تعمل

الجمهورية على تشييده بعرق الجيل الصاعد وسواعده،
وكل هذا وذلك قصد التعبير عن مصر وعظمتها في
الماضى ، وما يجرى فيها من نهضة في الحاضر . ولعل
أجمل هذه النقود جميعها تلك القطعة الذهبية ذات
الجنيه الواحد والخمسة جنيهاً التي تحمل على وجهها
صورة الشمس المجنحة وعلى ظهرها عربة رمسيس
الثانى وفوق رؤوس الخيل نجد كلمة « مصر »
بالهروغليفية .

وانا لنأمل وقد آن أوان تحقيق هذا الأمل أن
نرى من بين منتجات دار السك الحالية قطعاً تبدو
عليها انطباعات القومية العربية فتزدان بالمنشآت
المعمارية والزخارف والكتابات العربية التي تحيط
بصورة البطل العربى جمال عبد الناصر رائد القومية
وراعيها ، وتسجل على هذه النقود شعار نقودنا
العربية منذ فجر الاسلام « لله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

خاتمة

ولعل فإن المتتبع لقصة النقود العربية في هذا الكتاب منذ فجر الاسلام حتى اليوم يستطيع أن يتبين من خلال الأدوار التي مرت فيها نقودنا ، الجانب الاقتصادي والفنى ومدى ارتباطهما بالأحوال السياسية التي سادت الشرق العربى ، وكل هذه الأدوار رغم تعددها يمكن تلخيصها فى المراحل الآتية :

١ - مرحلة الانتقال :

منذ الفتح الاسلامى ٢٠ هـ (٦٤١ م) حتى قيام الدولة الطولونية ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) وفى هذه الفترة ظهرت تبعية النقود المصرية لنقود الخلافة فى دمشق ثم فى بغداد رغم وجود انطباعات محلية طفيفة .

٢ - مرحلة الاستقلال النقدى :

منذ العصر الطولونى حتى الفتح العثمانى لمصر ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) وفى هذه الفترة تمتعت مصر والشام

بنقود قومية مستقلة صدرت على يدى الطولونيين
والأخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك .

٣ - مرحلة الانهيار النقدي :

منذ الفتح العثمانى حتى ١٩١٦ م وفى هذه الفترة
ارتبطت نقودنا العربية بالنقود التركية فى أشكالها
وأوزانها وعيارها ، ولم يكن لحكومة مصر فى عهد أسرة
محمد على حق اصدار النقود فى غالبية هذه الفترة دون
الحصول على اذن خاص يتمثل فى تلك الفرمانات
العثمانية التى تحدد نوع النقد الذى يسمح بضربه فى
مصر بوزن وعيار معينين . وقد خضعت مصر خلال
تلك الفترة للاحتلال البريطانى وأنشئ البنك الأهلى
سنة ١٨٩٨ وبدأ فى اصدار العملة الورقية بضمان
رصيد ذهبى يودع فى لندن وقد نجحت بريطانيا فى
استبدال الغطاء الذهبى منذ ٣٠ أكتوبر ١٩١٦ بأذونات
على الخزانة البريطانية . وكانت السيادة فى الواقع
للجنة الاسترلىنى رغم قانون الاصلاح النقدي الصادر
فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٥ وقانون ١٨ أكتوبر ١٩١٦ وقد

ظل هذا القانون الأخير أساسا للسياسة النقدية في مصر
في عهد الملكية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .

٤ - عصر النهضة النقدية :

وفي هذه المرحلة استقلت نقودنا بطابع معين يتفق
ومنطق الثورة التي بدأت منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من
حيث النهوض بجميع مرافق الإنتاج في الدولة ، فأُنشئت
دار السك الجديدة وزودت بأحدث الآلات والمعدات
والفنيين ، لسك نقود قومية تسد حاجة السوق المحلية
كما عدلت قوانين العملة بحيث تتلاءم مع المصلحة
القومية فصدرت منذ ١٩٥٣ عدة قوانين نقدية معدلة
لقانون الاصلاح الصادر في ١٩١٦ في عهد الملكية
ونَهضت دار السك بأعباء كثيرة لا تنكر فضربت الكثير
من النقود التذكارية في مناسبات عدة .

وانا لَنرجو مخلصين أن تستمر هذه النهضة النقدية
المباركة عربية الطراز في ظل الجمهورية العربية المتحدة
وفي رعاية رئيسها المحبوب .

دكتور عبد الرحمن فهمي محمد

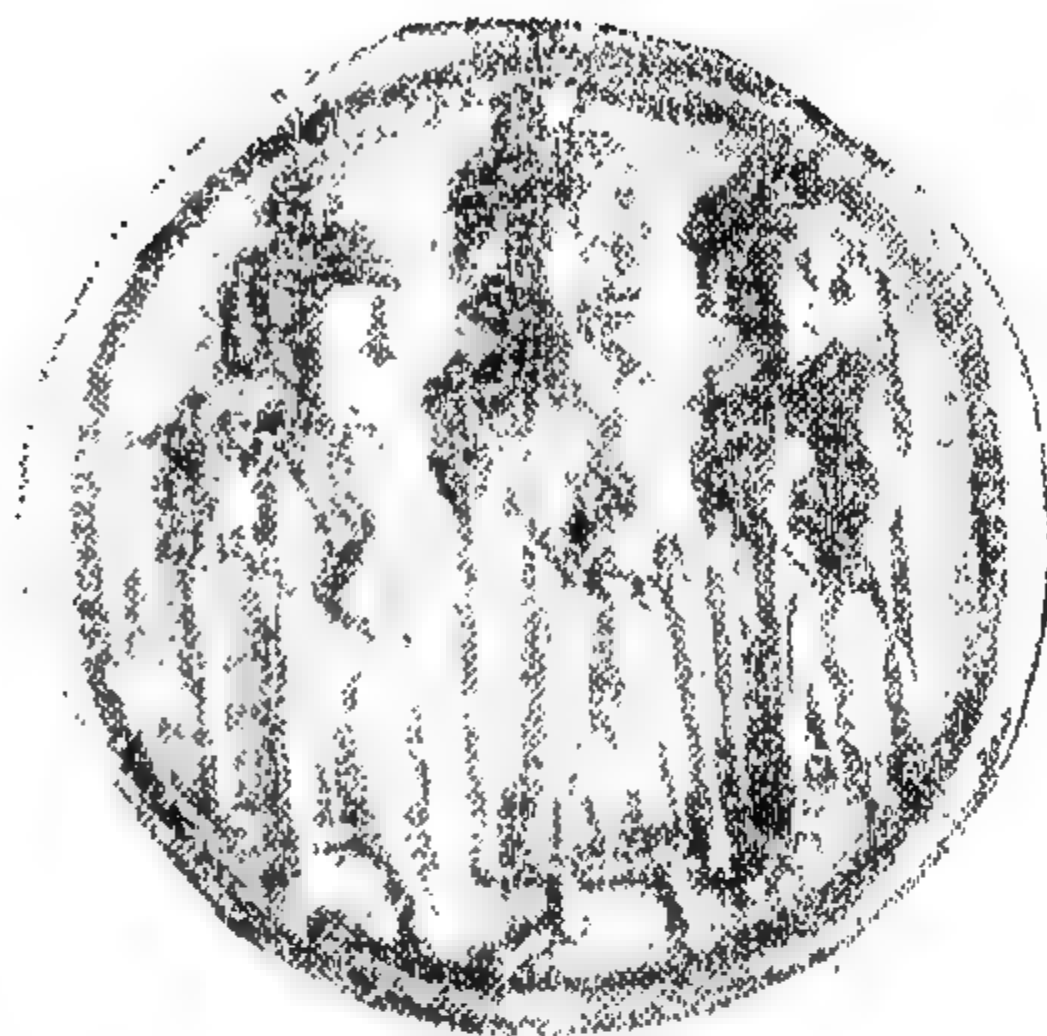
أمين متحف الفن الاسلامي

بيان اللوحات

- ١ - دينار ذهب من العصر البيزنطى .
- ٢ - دينار ذهب عربى بيزنطى .
- ٣ - ٥ - دنائير ذهب عربية بتأثيرات بيزنطية .
- ٦ - دينار عربى بكتابات كوفية ضرب سنة ٧٧ هـ .
- ٧ - درهم فضة عربى بتأثيرات ساسانية .
- ٨ - درهم فضة عربى بكتابات كوفية ضرب دمشق .
- ٩ - وجه فلس بيزنطى عليه حرف M لتدل على قيمته .
- ١٠ - وجه فلس مصرى ضرب اسكندرية من العصر البيزنطى .
- ١١ - فلس عربى بصورة عبد الملك بن مروان وتأثيرات بيزنطية
- ١٣ - فلس عربى بصورة عبد الملك ضرب حلب .
- ١٤ - فلس عربى ضرب مصر - الفسطاط باسم الوالى عبد الملك بن مروان .
- ١٥ - وجه فلس عربى ضرب الفرما .
- ١٦ - وجه فلس عربى ضرب دمشق .
- ١٧ - وجه فلس عربى ضرب ايليا - فلسطين .

- ١٨ - دينار عباسى يظهر عليه اسم المأمون .
 - ١٩ - دينار طولونى باسم أحمد بن طولون .
 - ٢٠ - دينار أخشىدى باسم أبو القاسم بن الأخشىد .
 - ٢١ - دينار فاطمى ضرب مصر سنة ٣٤١ هـ .
 - ٢٢ - عملة ضربها الصليبيون فى الشرق عليها الشارات والعقائد المسيحية .
 - ٢٣ - دينار ذهب باسم السلطان المملوكى الظاهر بيبرس ورنكه .
 - ٢٤ - دينار ذهب باسم السلطان المملوكى الأشرف قانصوه الفورى .
 - ٢٥ - قروش على بك الكبير ضرب مصر سنة ١١٨٣ هـ .
 - ٢٦ - وجه عملة فضية من عهد السلطنة المصرية .
 - ٢٧ - خمسة جنيهاً ذهب تذكّر العيد القومى فى عهد الجمهورية .
-

(1)



(2)

(۳)



(۴)

(0)



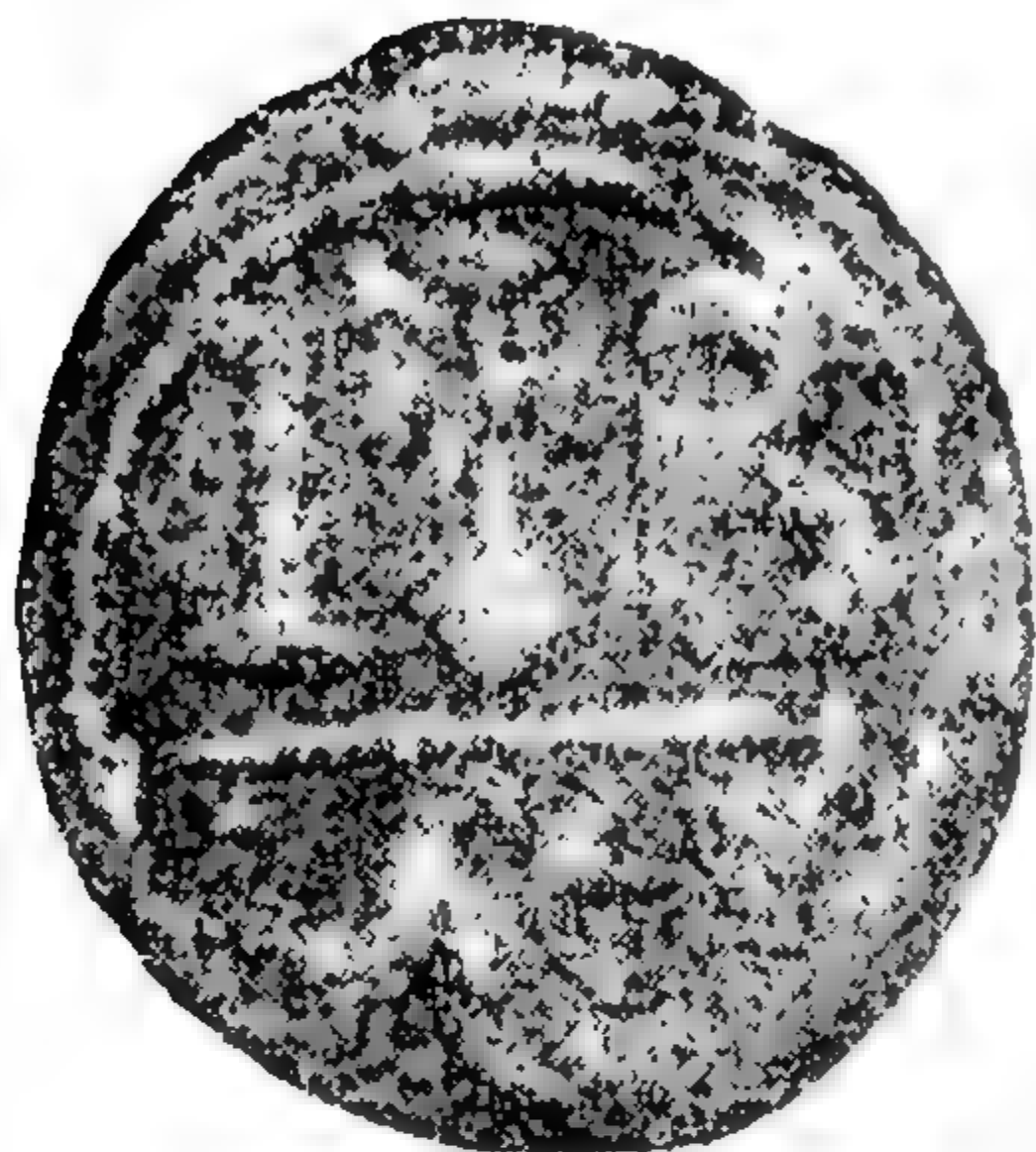
(7)

(v)



(w)

(10)



(9)



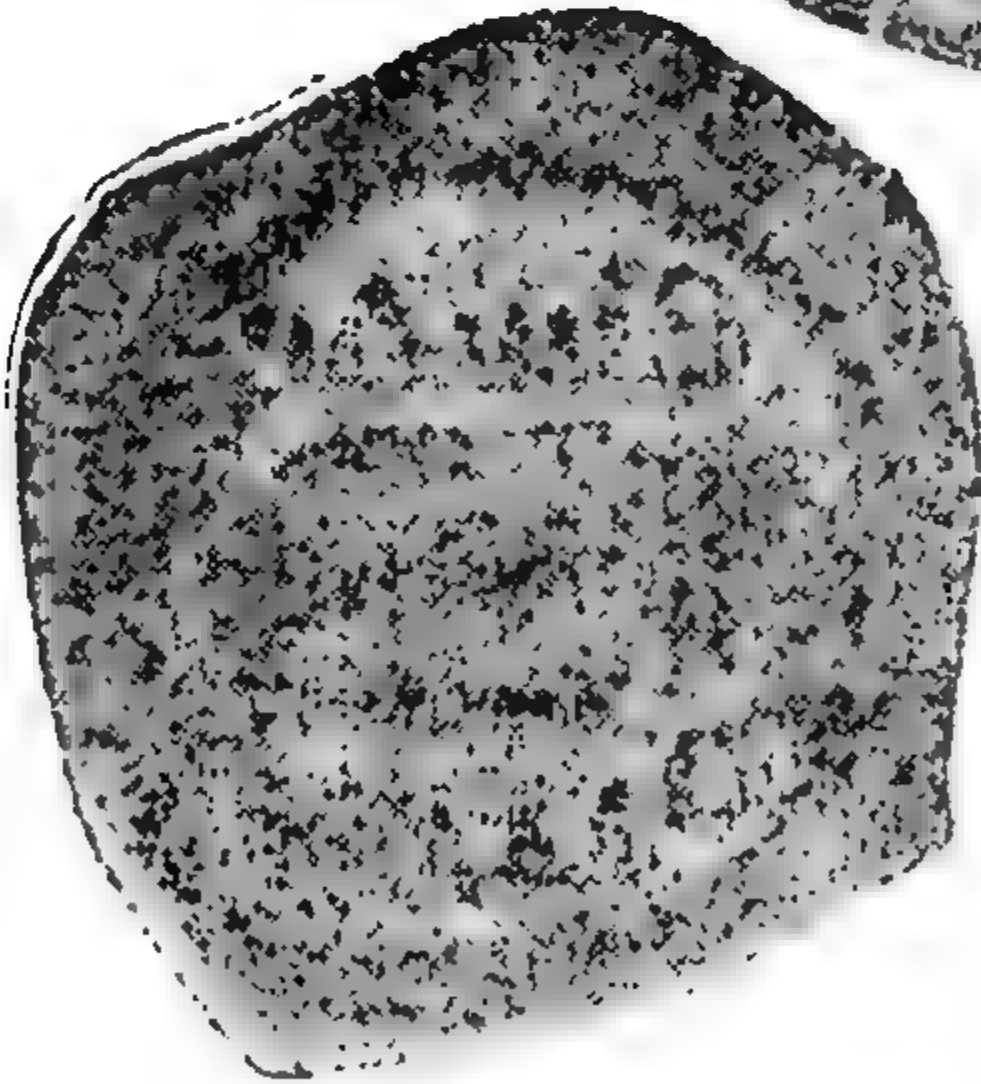
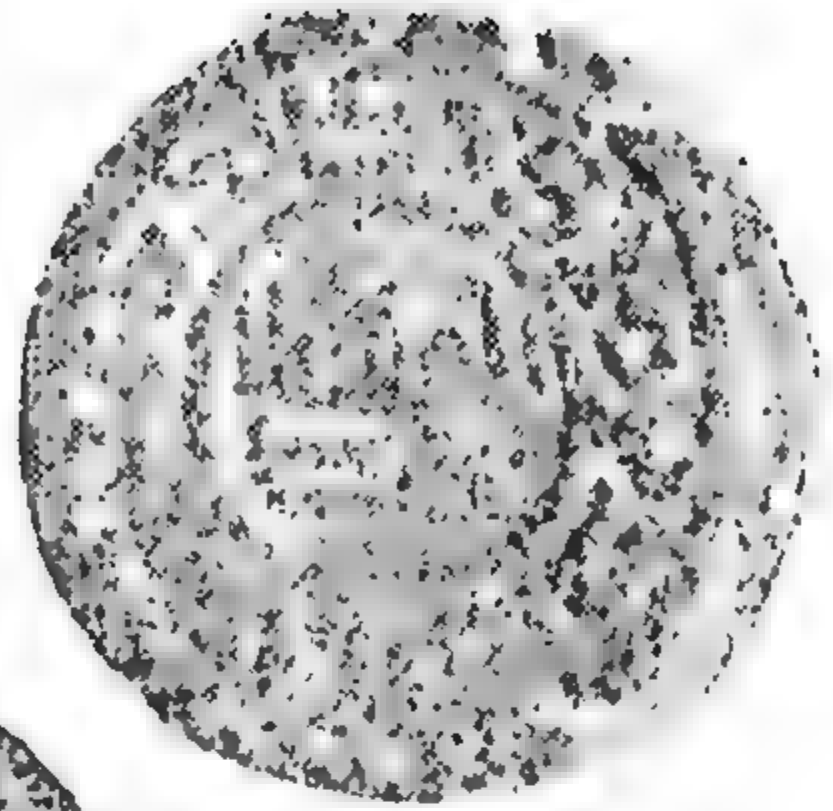
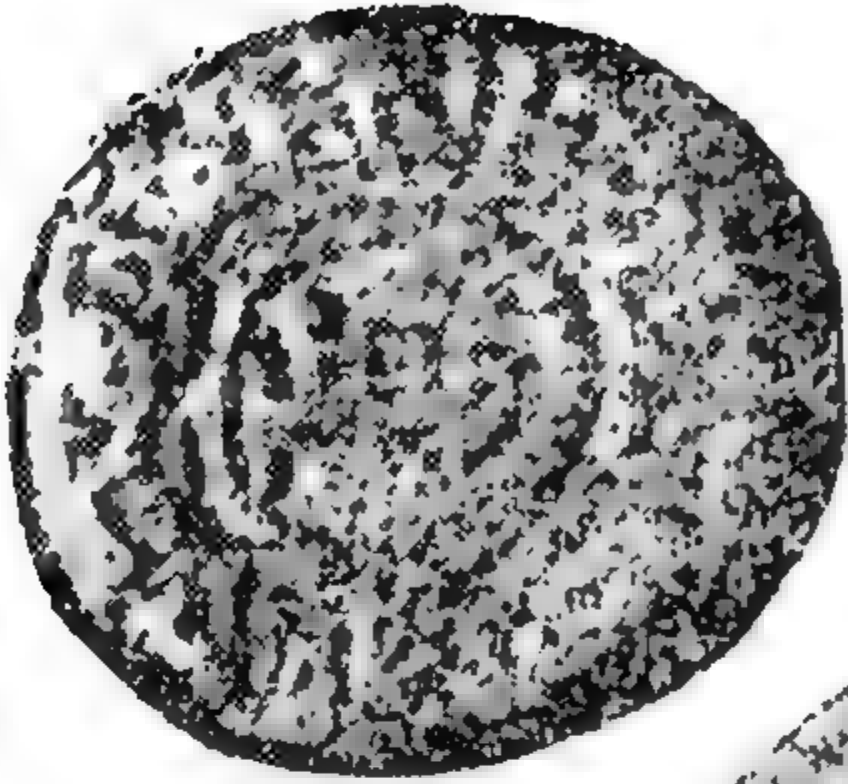
(11)

(12)



(13)

(١٤)

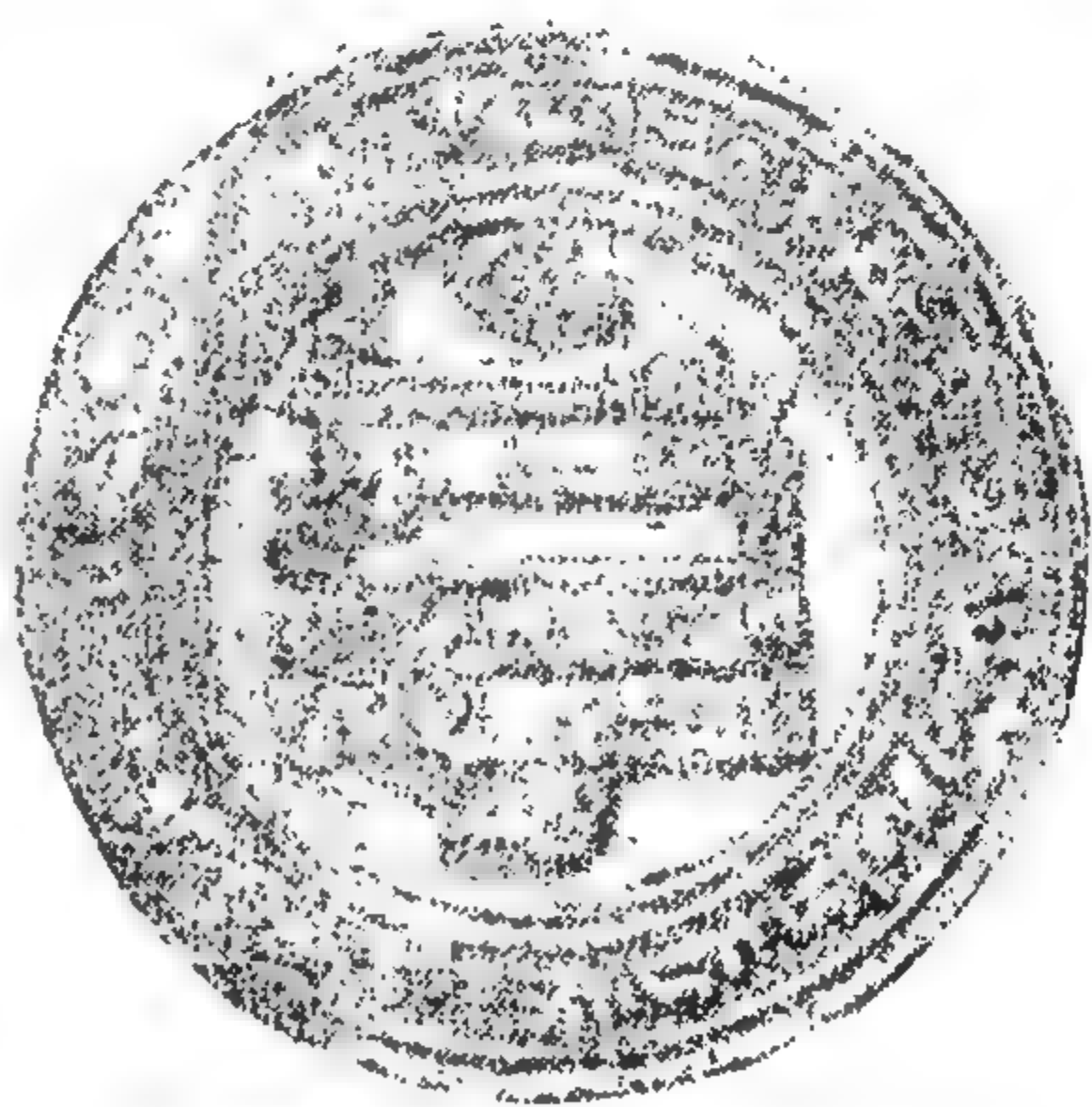
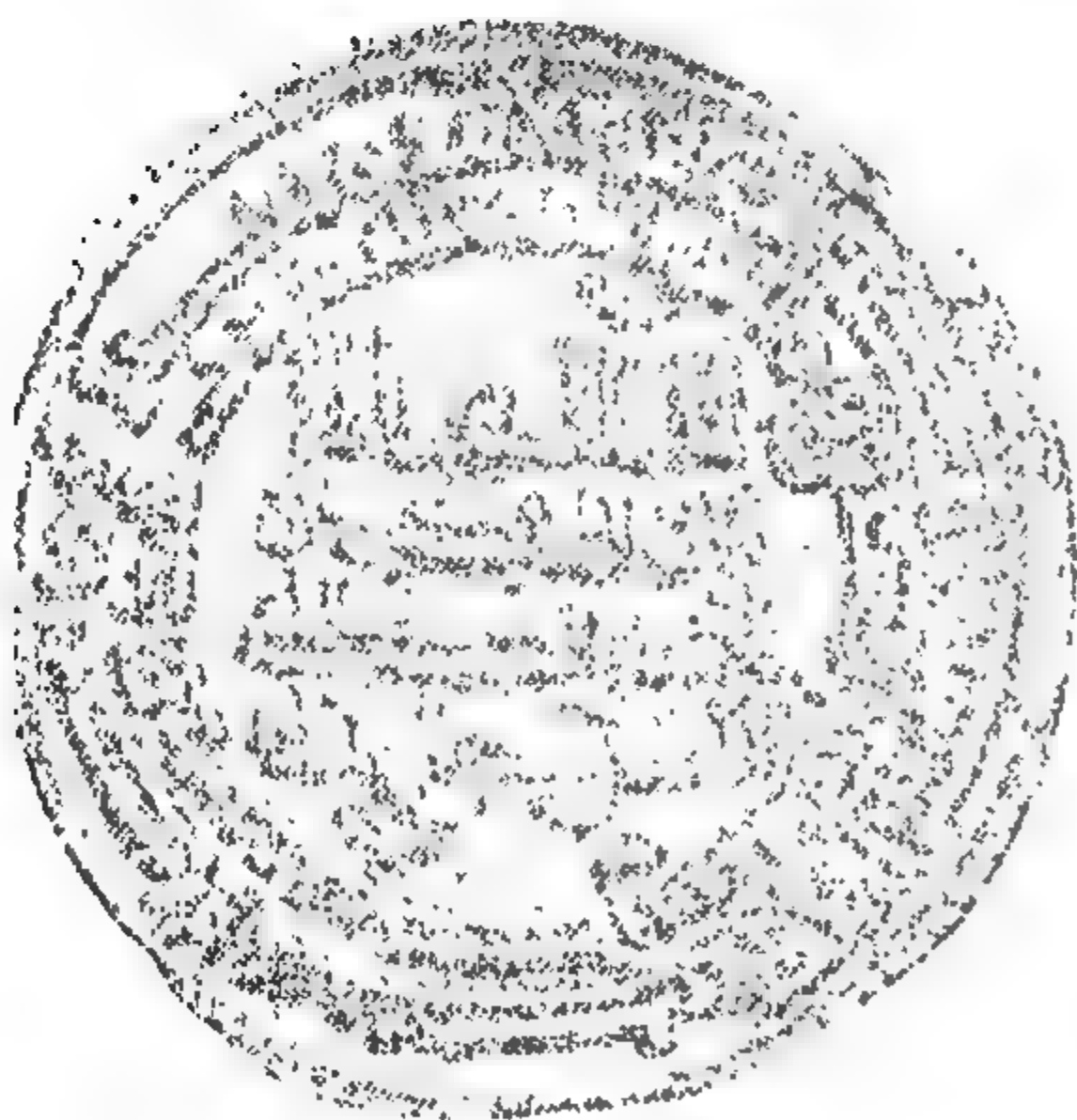


(١٧)

(١٦)

(١٥) في الوسط

(۱۸)



(۱۹)

(۲۰)



(۲۱)

(۲۲)



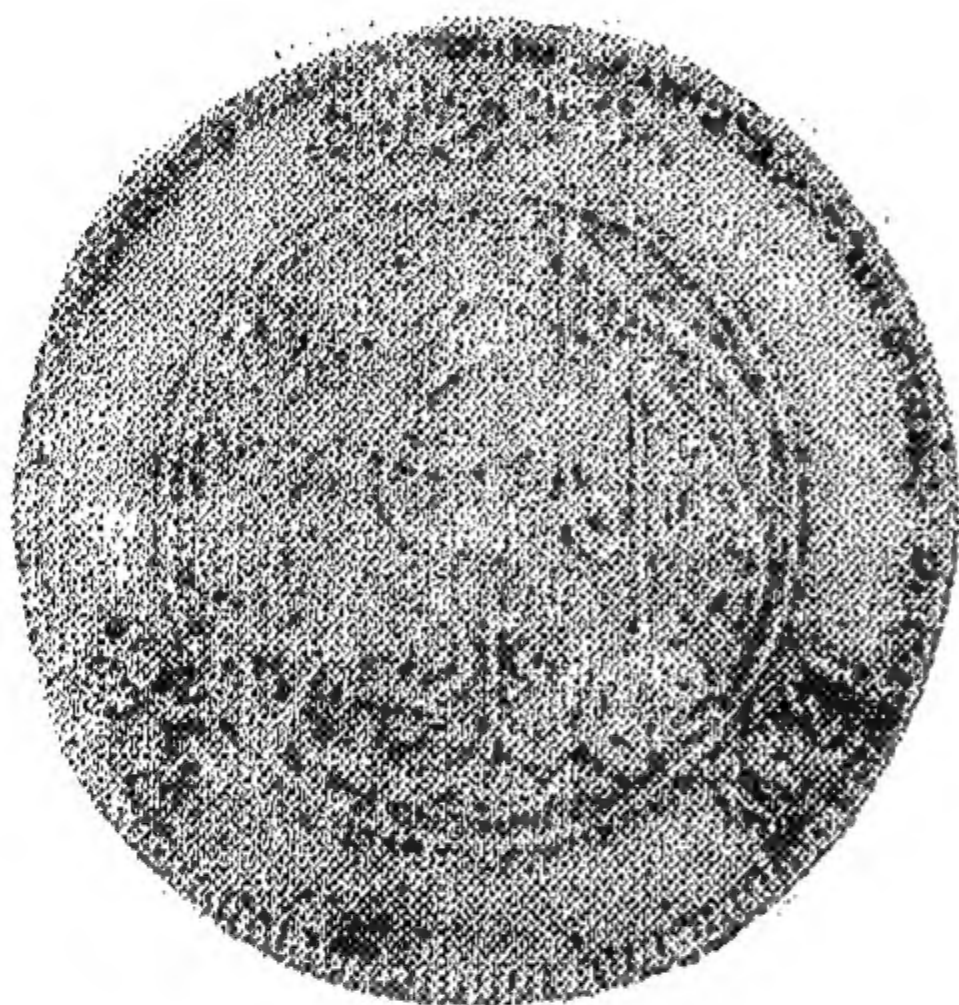
(۲۳)

(٢٤)



(٢٥)

(۲۶)



(۲۷)

المكتبة الثقافية

- أول مجموعته من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل فارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة
- تحوى جميع ألوان المعرفة بأفلام أساندة
- متخصصين وتفرشين لكل كتاب
- تصدر مرتين كل شهر في أوله وفي منتصفه.

الكتاب القادم

جوائز الأدب العالمية

«مثل من جائزة نوبل»

بقلم

الأستاذ عباس محمود العقاد

أول مارس ١٩٦٤

Bibliotheca Alexandrina



0601705



مكتبة مصر

الثلث ٢